رفع موقع على بصيرة

http://alabasirah.com

ظاهرة داعش في تجارب القاعدة

نقد مزاعم اعتدال التنظيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

الناشر

مركز ثبات للبحوث والدراسات

ظاهرة داعش في تجارب القاعدة

نقد مزاعم اعتدال التنظيم

تأليف

سعيد بن حازم السويدي

مركز ثبات للبحوث والدراسات

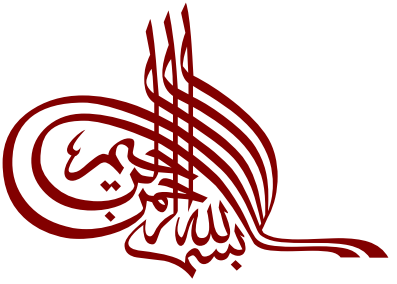
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تصدير ٦
مقدمة ٧
أوَّلاً: التَّمرُّدُ على الشُّيوخِ المُنظِّرينَ ١١
الزَّرقاويُّ، وشَيخُه المَقدسيُّ ١٢
أَيْمَن الظَّواهريُّ، ومُنظِّرُ جماعةِ الجِهادِ (الدُّكتورُ فَضلٌ) ١٤
ثانيًا: الاستِعلاءُ على المَناهجِ الجِهاديَّةِ الأُخرَى ١٨
ثالثًا: النِّقمةُ عَلى المُجتمعاتِ الإسلاميَّةِ ٣٤
رابعًا: الجَهلُ والغِلظةُ في أخْلاقِ المُتطرِّفينَ ٤٢
خامسًا: التَّحريضُ على الأَنظمةِ السُّنِّيَّةِ والدُّخولُ في أجندَةِ خُصومِها ٥٤
سادسًا: إفشالُ التَّجارِبِ الجِهاديَّةِ ٥٨
سابعًا: الحِزبيَّةُ والاستِبدادُ ٦٤
الجِهادُ في العراقِ وحِزبيَّةُ قيادةِ القاعدَةِ ١٠٣
انقلابٌ على إخوةِ المَنهجِ! ١١١
المَقدِسيُّ وجماعةُ جُهَيْمانَ ١١٧
داعشُ الجَزائرِ والموقفُ المَشبوهُ لأبي قَتادةَ الفِلَسطينيِّ ... ١٢٠
المَصَادِر ١٢٣

تصدير

الحَمدُ للهِ، أمَّا بعدُ..

فإنَّ مِن أضرارِ الغُلوِّ في الدِّينِ: أنَّ الجَماعاتِ التي تَسلُكُ سَبيلَه تَنقسِمُ، ويَحمِلُ بعضُها السَّلاحَ على بَعضٍ؛ لأنَّها لم تَبنِ عَلاقتَها على أُسسٍ مَتينةٍ مِن الشَّرعِ، وإنَّما بنَتْها على أهواءٍ سَرْعانَ ما تَتعارَضُ فتَتصادَمُ، وهذا ما نَراهُ اليومَ رَأْيَ العينِ في تَنظيمِ القاعدةِ مع داعش، وهذِه الانقساماتُ والصِّداماتُ ليستْ ببِدْعٍ في هذا العَصرِ، بل هي مُمتدَّةٌ امتدادَ الغُلوِّ في هذِه الأُمَّة .

ولذا وصَفَ الإمامُ وهبُ بنُ مُنبِّهٌ حالَ الغُلاةِ في عَصرِه بما يَتطابَقُ على حالِ الغُلاةِ في وقتِنا وفي كلِّ وقتٍ، فقال رحِمَه اللهُ: "ولوْ أَمْكَن اللهُ للخوارجِ مِن رَأيهم لفَسَدتِ الأرضُ، وقُطِعتِ السُّبلُ والحجُّ، ولعادَ أمرُ الإسلامِ جاهليَّةً، وإذنْ لقامَ جَماعاتٌ كلٌّ منهم يَدْعو إلى نفْسِه الخِلافةَ، مع كلِّ واحدٍ منهم أكثرُ مِن عَشرةِ آلافٍ يُقاتِلُ بعضُهم بعضًا، ويَشهَدُ بعضُهم على بعضٍ بالكُفرِ، حتَّى يُصبحَ المؤمنُ خائفًا على نفْسِه ودِينِه ودِمِه، وأهلِه ومالِه؛ لا يَدْرِي مع مَن يَكونُ"![1]

المكتَب العِلمي

بمركز ثَبات للبُحوث والدِّراسات

(١) تاريخ دمشق (٦/ ٣٨٣).

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

مقدمة

الحَمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ العَربيِّ الأَمينِ، وعلى آلِه وصَحبِه أَجمعينَ، أمَّا بعدُ:

فإنَّ الحَديثَ عَن تَنظيمِ داعشَ أصبحَ جاذِبًا لكُلِّ هُواةِ التَّضخيمِ والتَّهويلِ مِن شأنِ ظاهِرةِ الغُلوِّ في الدِّينِ، أو ما يُعرَفُ في زَمانِنا بالتَّطرُّفِ الدِّينيِّ، ومُنذُ ظُهورِ اسمِ داعشَ في نيسانَ ، ٢٠١٣م ظَهر كثيرٌ مِنَ المُؤلَّفاتِ والكُتُبِ الَّتي تَتناوَلُ مُختلَفَ الجَوانبِ المُتعلِّقَةِ بِهَذا التَّنظيمِ: الفِكريَّةِ والعَسكريَّةِ والسِّياسيَّةِ.

ويَظهرُ مِن كَثرةِ الكِتاباتِ وحَجمِ الاهتِمامِ بِهذا التَّنظيمِ محاولةُ التَّأكيدِ على فِكرةٍ مَفادُها: **عَزلُ تَنظيمِ داعشَ عمَّا سَبقَه مِن حَركاتٍ مُتشدِّدةٍ، ومُعاملتُهُ كَحالةٍ فَريدةٍ غيرِ مَسبوقةٍ في عالمِ التَّطرُّفِ الدِّينيِّ.**

ولا رَيبَ في أنَّ تَطويعَ الواقعِ لِفكرةٍ رُسِمتْ في أذهانِ أصْحابِها عَمليَّةٌ صَعبةٌ لا تَتمُّ إلَّا بِتَطويرِ جُملةٍ منَ التَّخيُّلاتِ والتَّصوُّراتِ والتَّحليلاتِ، الَّتي ليس لها مَصدرٌ مَوثوقٌ أو طَريقةٌ عِلميَّةٌ يُمكِن الاعتِمادُ عليها في إثْباتِ أمرٍ أو نَفيِه.

ومَعلومٌ أنَّ القِراءةَ غيرَ الواقعيَّةِ لِظاهرَةِ الغُلوِّ الدِّينيِّ وحَركاتِه المُعاصرَةِ ستَنْتَهي بِنا إلى العَجزِ والجُمودِ عنِ التَّعامُلِ مَع تَنظيماتٍ

أو أفكارٍ مُحاطةٍ بِهالَةٍ منَ التَّضخيمِ والمُبالغَةِ في القُدُراتِ المُذهلَةِ والإمْكاناتِ الخَياليَّةِ، الَّتي تَتمتَّعُ بِها هذه التَّنظيماتُ في إبْقاءِ نَفسِها وتَطويرِ عَملِها واستِقطابِ الشَّبابِ نَحوَها.

كما أنَّ القِراءةَ غيرَ الواقعيَّةِ لِظاهرةِ داعشَ ومُحاولَةَ التَّرويجِ لِقُدُراتِه الأُسطوريَّةِ يَخدُمُ ثَلاثةَ أطرافٍ:

الطَّرَفُ الأوَّلُ: تَنظيمُ داعشَ نفسُهُ: الَّذي تَمكَّن مِن الحُصولِ على دَعايةٍ مجَّانيَّةٍ مِن قِبَلِ الإعْلامِ العَربيِّ والغَربيِّ، الَّذي عزَّز صورةَ التَّنظيمِ الأُسطوريِّ الَّذي لا يُقهَر ولا يُمكِنُ إيقافُ تَمدُّدِه، وَهذا ما اعتَبره أنصارُ داعشَ عِنايةً ورِعايةً إلهيَّةً لِلجَماعةِ المُتفرِّدةِ بالدِّفاعِ عَنِ الحقِّ!

الطَّرَفُ الثَّاني: القُوَى الغَربيَّةُ وحُلفاؤُها، الَّتي تَحرصُ على وَضعِ "الأُصوليَّةِ والإرْهابِ" الإسْلاميِّ في مُقدِّمةِ الأَخطارِ الَّتي تُهدِّدُ السِّلمَ العالَميَّ، وبالتَّالي تَستمرُّ السِّياساتُ والقَراراتُ المُحارِبةُ لِلنَّشاطِ الإسْلاميِّ والعَملِ السَّلفيِّ على وَجهِ الخُصوصِ.

الطَّرَفُ الثَّالثُ: إيرانُ ومَشروعُها الشِّيعيُّ: فالغَربُ حَقيقةً لا يُحارِبُ التَّطرُّفَ بُغيةَ القَضاءِ عَليه، وإنَّما يَستغلُّ شَمَّاعةَ التَّطرُّفِ لِمُحاصرةِ العَملِ الإسلاميِّ السُّنِّيِّ ووَضعِه تَحتَ عَينِ المُراقبَةِ والتَّضييقِ عليه، بِشكلٍ يَجعلُ إيرانَ أكبرَ الرَّابحينَ مِن إضعافِ العالَمِ الإسلاميِّ السُّنِّيِّ؛ نَتيجةَ التَّوتُّرِ بينَ الإسلاميِّينَ

والحُكوماتِ، أو بِسببِ التَّفرُّق الَّذي تُحدِثُه الأَفكارُ المُتطرِّفَةُ في صُفوفِ الإسلاميِّينَ خاصَّةً في عَزلِ الشَّبابِ عَن طَبقةِ العُلماءِ.

لذا سنُحاولُ في هذا البَحثِ تَسليطَ الضَّوءِ على ظَواهرِ الغُلوِّ الدَّاعشيِّ في تَجاربِ القاعدَةِ والتَّنظيماتِ المُتشدِّدةِ؛ حتَّى يَصلَ القارئُ إلى اليَقينِ بأنَّ تَنظيمَ داعشَ هوَ امتِدادٌ لِفكرٍ مُعاصرٍ أرْهقَ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ والحَركاتِ الدِّينيَّةَ الإصْلاحيَّةَ مُنذُ عُقودٍ، وأنَّه لا وَجاهةَ لأيِّ تَفريقٍ أو تَمييزٍ بينَ داعشَ وغيرِها مِنَ التَّنظيماتِ الحاليَّةِ أوِ التَّجاربِ السَّابقَةِ.

إنَّ مِن أهمِّ الأسبابِ الَّتي تَدعو لِهذا التَّوضيحِ والبَيانِ لِحَقيقةِ التَّطرُّف وتَنظيماتِه، هوَ قطعُ الطَّريقِ أَمامَ التَّنظيماتِ المُتشدِّدةِ -الَّتي أصبَحتْ مِن ضَحايا داعشَ كَجَبهةِ النُّصرةِ والقيادَةِ العامَّةِ لِلقاعدَةِ (برئاسةِ الظَّواهريِّ)- والحَيْلولةُ دونَ تَظاهُرِهم بالاعتِدالِ والتَّخلِّي عنِ الفِكرِ المُتطرِّفِ؛ فالخِلافُ الدَّاخليُّ بينَ أبناءِ المَذهبِ الواحِدِ لا يُمكنُ اعتِبارُه خِلافًا مَنهجيًّا مُتعلِّقًا بالأُصولِ والقَواعدِ في فَهمِ الدِّينِ والقيامِ بالجِهادِ عَلى وَجهٍ شَرعيٍّ، وَلا يَنبغي لِعاقلٍ فَضلًا عنْ مُؤمنٍ فَطِنٍ أن يَنخدِعَ ويَعتقِدَ أنَّ مَشايخَ التَّطرُّفِ والتَّنظيماتِ الَّتي تَولَّت حَمْلَ لِوائِه على مَدارِ السَّنواتِ الطَّويلةِ الماضيَةِ قد خَلَعُوا عَباءةَ فِكرِهم ومَنهجِهم المتطرِّف؛ لأنَّ أيَّ شيءٍ مِن هذا لم يَحدُثْ، وإنَّما الَّذي حصلَ هوَ مُجرَّدُ خِلافٍ بينَ أبناءِ المَنهجِ الواحِدِ، وتَمرُّدٍ

وعُقوقٍ مَألوفٍ في تاريخِ المُتشدِّدينَ مِن قِبَلِ الأتباعِ الأَغرارِ على الأَشياخِ الكِبارِ.

فرُدودُ الفِعلِ مِن قِبَلِ تَنظيمِ القاعدَةِ على غُلوِّ داعشَ وإجرامِه، لا يُمكِنُ إدراجُها في خَانةِ التَّراجُعاتِ والتَّوبةِ مِنَ الفِكرِ المُتشدِّد الَّذِي ظَهرَتْ آثارُه في مَيادينِ الجِهادِ ومُجتمعاتِ المُسلمينَ قَبل أن تَظهرَ داعشُ بِسنينَ طَويلةٍ.

ما قامَ به داعشُ هوَ نِتاجُ الفِكرِ الَّذي قامَ على أساسِ التَّمرُّد على كلِّ شيءٍ، حتَّى وَصلَ إلى التَّمرُّد على مَشايخِ المَنهجِ نفسِه ومُنظِّريه، وكان على المَقدسيِّ والفِلَسطينيِّ والظَّواهريِّ أن يَتوقَّعوا هذا مِن داعشَ، وألَّا يَستغرِبوهُ؛ لأنَّه ليس إلَّا مِن جُملةِ حَصائدِ أفعالِهم وصَنائِعِهم، وكان عليهم أن يَعوا أنَّ البَغيَ والمُزايداتِ الَّتي مارَسوها على الإسْلاميِّينَ مِن مُختلَفِ الاتِّجاهاتِ لابدَّ أنْ تَظهرَ عاقبَتُها الدُّنيويَّةُ.

فهَذه بِضاعتُكم رُدَّت إليكُم، وقَد قضى اللهُ أنَّ البَغيَ يَصرعُ أَهلَه، وأنَّ الظُّلمَ مَرتَعُه وَخيمٌ.

نَرجو مِن اللهِ السَّدادَ في القَولِ والعَملِ، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ.

٧ شوال ١٤٣٦هـ

الموافقُ ٢٣ تموز ٢٠١٥م

أوَّلاً: التَّمرُّدُ على الشُّيوخِ المُنظِّرينَ

مِن أبرَزِ ما تَميَّزت به تَجربَةُ داعشَ خِلالَ السَّنتينِ الماضِيَتَيْنِ: أنَّها أسقَطتْ شرعيَّةَ مُخالفيهم من رُموزِ الفِكرِ المُتطرِّف وقادَتِه؛ كالظَّواهريِّ والمَقدسيِّ والفِلَسطينيِّ أبي قَتادَةَ، فَضلًا عن غَيْرِهم منَ المَحسوبينَ على التَّيَّارِ المُناصرِ لِلقاعدَةِ وَما يُسمَّى: الحَركةَ الجِهاديَّةَ العالَميَّةَ.

لَكن يَجدُرُ التَّنويهُ إلى أنَّ هذا الإنقِلابَ لَيس جَديدًا في مَسيرةِ تَجاربِ التَّيَّارِ المُتطرِّف، بل لا يُمكِنُ اعتِبارُه ظاهرَةً شاذَّةً أوِ استِثنائيَّةً؛ لأنَّه مُتولِّد بالضَّرورةِ عَن أفكارٍ مُترسِّخةٍ في أذهانِ المُتطرِّفينَ.

النَّزعةُ لِلانقِلابِ تَنشأُ مَع المُتطرِّفِ بِدايةً مِن ازْدِراءِ أعمالِ الإسْلاميِّينَ لِكَونِها خاليَةً مِن عنصر الصِّدامِ معَ السُّلطةِ، ثُمَّ يَتحوَّلُ إلى اعتِبارِ فِقهِ الجِهادِ مِن شأنِ المَيدانيِّينَ لا الشَّرعيِّينَ، وأنَّه لا يصِحُّ لِقاعدٍ أن يُفتيَ لِمُجاهدٍ، ويَدخلُ العَملُ الجِهاديُّ في طَورِ العَلمنَةِ بِرَفضِ المَيدانيِّينَ تَدخُّلَ العُلماءِ ورِجالِ الدِّينِ في شُؤونٍ لا يَعلَمونَها! ويُصبحُ حاملُ السِّلاحِ بِثَقافتِه الدِّينيَّةِ المُتواضعَةِ بِمَنزِلَةِ المُجتهدِ الَّذي لا يَجوزُ الإنكارُ على اختِياراتِه.

فَما فَعلتْه داعشُ مَألوفٌ في تاريخِ الجَماعاتِ المُتشدِّدةِ، وَفيما يَلي تَذكيرٌ بِبعضِ حالاتِ التَّمرُّدِ للأتباعِ الصِّغارِ على

المُنظِّرينَ الكِبارِ، وقد يَرَى البَعضُ أنَّ هذا الحالَ يُمكنُ نَعتُه بالعُقوقِ، والأصحُّ: أنَّه حصادٌ طَبيعيٌّ لِتَربيةٍ سيِّئةٍ قائمَةٍ على نَبذِ العُلماءِ والتَّطاولِ عَليهم والاستِهانةِ بِجُهودِ الدُّعاةِ.

◈ الزَّرقاويُّ، وشَيخُه المَقدسيُّ

الخِلافُ بينَ الزَّرقاويِّ وشَيخِه المَقدسيِّ مَعروفٌ، وخُلاصتُه أنَّ المَقدسيَّ كَتبَ رِسالةً إلى الزَّرقاويِّ عام ٢٠٠٥م حَملتْ عُنوانَ: (الزَّرقاويُّ؛ مُناصَرة ومُناصَحة: آمَال وآلام)، وقدْ حذَّرَه فيها مِن عدَّةِ أُمورٍ مِنها: التَّساهلُ في دِماءِ المُسلمينَ، والفوضى في العَملِ عَبرَ التَّفجيراتِ في الأماكنِ المَدنيَّةِ، والتَّساهُلُ في العَمليَّاتِ الانتِحاريَّةِ دونَ ضوابطَ، وحَذَّره مِن تَكرارِ تَجاربِ الغُلاةِ، وَعدمِ تَوسيعِ دائرَةِ الصِّراعِ، وَعدمِ الانْجِرارِ لِاستِهدافِ عُمومِ الشِّيعةِ، كَما قال له: (لا بدَّ مِن تَصديرِ العِراقيِّينَ في واجِهةِ المُقاومةِ، ولا بدَّ مِن اخْتيارِ قيادَةٍ إسلاميَّةٍ عراقيَّةٍ راشدَةٍ تَعرِفُ هُمومَ الشَّعبِ العِراقيِّ، وتَعرفُ كيفَ تُخاطبُهُ بِخطابٍ واعٍ ناضجٍ يَجعلُها مَنارةً للنَّاسِ يَلتفُّونَ مِن حَولِها، وتَتجنَّبُ كلَّ ما يُشوِّهُها مِن أعمالٍ مَرجوحةٍ أوِ اختِياراتٍ مُنفِّرةٍ أو مَفضولَةٍ)، (وأبناءُ البَلدِ عندَ عُمومِ النَّاسِ أَولى بالتَّصدُّرِ لِأُمورِها وَالحديثِ عَن هُمومِها والبُروزِ لِتحمُّلِ مَسؤوليَّاتِها.. وعدمُ التِفاتِ المُجاهدين إلى هذا الأَمرِ، وَعدمُ اعتِبارِهم له، وعَدمُ اهتِمامِهم بِمَوازينِ القُوى في البَلدِ وطَبيعتِها وطَبيعةِ أهلِها ووَضعِ الغَريبِ عنها أوَّلًا وآخِرًا،

وإغفالُ ذلك يُعدُّ إهمالًا لِسُننِ الواقعِ، وإعراضًا عن تَجاربِ إخْوانِنا المُجاهدينَ في شتَّى البِلادِ).

كان ردُّ الزَّرقاوِيِّ مَكتوبًا بلُغةٍ حادَّةٍ، لكنَّ أبرَزَ ما يلفت الانتباه فيها قوله: (الحُزنَ كلَّ الحُزنِ على جِهادٍ قائمٍ باديَةٍ بَركاتُه لكلِّ ذي عَينَيْنِ، يُراد له أن يُقوَّضَ بُنيانُه؛ فإن تمَّ لهم ما أرادوا - عياذًا باللهِ- كان لك نَصيبُ الأسدِ مِن ذلك)[1].

ويَبدو أنَّ جِنسَ الانتِقادِ كان مَرفوضًا في مَنطِقِ جَماعةِ الزَّرقاوِيِّ، حتَّى إن كانَ ممَّن يَحملُ نَفسَ فِكرِهِم ويَنصرُ مَشروعَهم.

ولم يُغفِلِ الزَّرقاويُّ في ردِّه أن يُنوِّهَ إلى جَهلِ المَقدسيِّ بِواقعِ الصِّراعِ في العِراقِ، وربَّما يَكونُ الزَّرقاويُّ قد ألمَحَ في أحدِ خُطَبِه إلى ذلك قائلًا: (في الآونَةِ الأخيرَةِ، بَدتْ مِن بعضِ إخوانِنا أهلِ العِلمِ؛ الَّذين كانت لَهُم سابقةٌ في الدَّعوةِ إلى اللهِ؛ هلاكٌ وأخطاءٌ، كان سببُها بُعدَهم عن ساحاتِ الجِهادِ وعدَمَ مُمارسَتِهمُ الفِعليَّةِ للجِهادِ... إنَّ مُصطلحَ (مُنظِّري التَّيَّارِ الجِهاديِّ) مُصطلحٌ دَخيلٌ، كَثُر ذِكرُه وامتِهانُه في الآونةِ الأخيرةِ، ولاسيَّما مِن قِبَلِ وَسائلِ الإعلامِ؛ ليَصدُّوا أبناءَ الأمَّةِ عنِ الجِهادِ، وَهذا المُصطلحُ في حَقيقتِه هوَ فِصامٌ نَكِدٌ بينَ القولِ والفِعلِ... أمَّا أن يَبقى العالِمُ بَعيدًا عن ساحاتِ الجِهادِ والواقعِ الَّذي يَعيشُه المُجاهدونَ، مُقِيمًا في بلادِ الكفَّارِ، ثمَّ يُفتي الأُمَّةَ

(١) جامع خطابات الزرقاوي ص ٣٣٠.

في مسائلَ أدنَى ما يُقالُ فيها: إنَّها مسائلُ اجتِهاديَّةٌ قابِلَةٌ للنَّظْرِ، يُريدُ إلزامَ المُجاهدينَ بها؛ فهذا لا يُقبَل ولا كَرامةَ)[1].

◈ أَيْمَن الظَّواهريُّ، ومُنظِّرُ جماعةِ الجِهادِ (الدُّكتورُ فَضلٌ)

يَعلمُ كلُّ مَن له مَعرفةٌ بِالجَماعاتِ المُتشدِّدةِ أنَّ الدُّكتورَ فضل[2] (عَبدَ القادرِ بنَ عبدِ العَزيزِ) مِن كبارِ المُنظِّرينَ والمُفكِّرينَ، وكُتبُه تَشهَدُ بِذلك كَكِتابِ (العُمدة في إعْدادِ العدَّةِ)، و(الجِامع في طَلَبِ العِلمِ الشَّريفِ)[3]، ويَعلمُ الجَميعُ كذلكَ أنَّه لا مَجالَ

(١) جامع خطابات الزرقاوي ص ٤٦٥.

(٢) واسمه الحقيقي سيد إمام الشريف.

(٣) يصِف أبو مصعب السوريُّ مكانة هذا الكتاب فيقول: (وأصدرتْ جماعة الجهاد المصرية عددًا من الأبحاث الهامَّة، وتَوجَّت ذلك بالكتاب القيم: (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز، فكَّ الله أَسْرَه، وربما كان هذا الكتاب من أهمِّ كتُب الأفغان العرب، وقد سدَّ ثغرةً تربويةً كبيرة في المعسكرات العربية في حينها، وبقِي واحدًا من أهمِّ كتب التيار الجهادي)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص ٧١٤.

ويقول أيضًا (ص ٧٣٦-٧٣٧): (من الأهمية بمكانٍ أن نذكُرَ أنَّ المدرسة الفِكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرزَ والأهمَّ والأرسخ في هذا القرن الأخير؛ فقد بدأتْ بمكتبة سيد قطب رحمه الله، والتي تضمُّ أساسيات الفكر الجهادي المعاصر، ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاجٌ أدبيٌّ ثريٌّ ومهمٌّ، كان من أهمِّه كتاب: (العمدة في إعداد العدة) للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وكتابه القيِّم الآخر: (الجامع في طلب العلم الشريف).

ويصِف مصطفى حامد المصري- المعروف بأبي الوليد- الكتابَ بأنه (بالغ الأهمية)، وأنه (اختزَلَ المسافةَ الفارقة بين تياريِّ الجهاد والتكفير إلى أدْنَى حدٍّ ممكن)، صليب في سماء قندهار، ص ٣١.

لِلمُقارنةِ بينَ الدُّكتورِ فَضلٍ وأيمَنَ الظَّواهريِّ مِن ناحيةِ المَعرفةِ الشَّرعيَّةِ والفِقهيَّةِ.

أصدَرَ الدُّكتورُ فضلٌ عام ٢٠٠٧م كِتابًا صَغيرًا بِعُنوانِ: (وَثيقة تَرشيدِ العَملِ الجِهاديِّ في مِصرَ والعالَمِ) جاء في مُقدِّمتِه: (تَعدَّدت مَسالكُ المُسلمينَ في السَّعيِ نحوَ تَحكيمِ شَريعةِ الإسْلامِ في عَصرِنا الحاضِرِ، وَفي التَّصدِّي لِلدُّوَلِ العُظمى الَّتي لا تَرضى إلَّا بإذْلالِ المُسلمينَ وإضْعافِهِم، ولَجأتْ بعضُ الجَماعاتِ الإسْلاميَّةِ إلى الصِّدامِ مَع السُّلطاتِ الحاكِمةِ في بِلادِها أو معَ الدُّوَلِ العُظمى ورَعاياها باسْمِ الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تعالى مِن أجلِ رِفعةِ شَأنِ الإسْلامِ، وانتَشرتِ الصِّداماتُ في مُختلفِ البُلدانِ مِن أقصى الشَّرقِ إلى أقْصى الغَربِ، وقد خالَطتْ هذه الصِّداماتِ كَثيرٌ منَ المُخالفاتِ الشَّرعيَّةِ مِثل: القَتلِ على الجِنسيَّةِ، والقَتلِ بِسببِ لَونِ البَشرةِ أوِ الشَّعرِ، والقَتلِ على المَذهبِ، وقَتلِ مَن لا يَجوزُ قَتلُه مِنَ المُسلمينَ ومِن غَيرِ المُسلمينَ، والإسرافِ في الاحتِجاجِ بِمَسألةِ التَّترُّسِ لِتَوسيعِ دائرَةِ القَتلِ، واستِحلالِ أموالِ المَعصومينَ وتَخريبِ المُمتَلكاتِ، ولا شيءَ يَجلبُ سَخطَ الرَّبِّ ونِقمَتَه كَسفكِ الدِّماءِ وإتْلافِ الأَموالِ بغيرِ حقٍّ، وَهذا مِن مُوجباتِ الخِذلانِ في الدُّنيا والحَرجِ والمُؤاخذةِ في الآخرَةِ)، فَهذه الوَثيقةُ عِبارةٌ عن بَيانِ (الضَّوابطِ الشَّرعيَّةِ المُتَّصلةِ بِفقهِ الجِهادِ) ودَعوةِ (شبابِ

الإسْلامِ إلى الالتِزامِ بِها وألَّا يَقعوا فيما وَقعَ فيه مَن سَبقَهُم مِن مُخالفاتٍ شَرعيَّةٍ عن جَهلٍ بالدِّينِ أو عَن تَعمُّدٍ، فلا هُم أقاموا الدِّين وَلا أبقَوْا على الدُّنيا)[1].

صَدرَتِ الوَثيقةُ أواخرَ ٢٠٠٧م، وكان ردُّ الظَّواهريِّ مُبكِّرًا في أوائلِ ٢٠٠٨م في كِتابٍ عنوانه: (تَبرئة أُمَّة القلمِ والسَّيفِ مِن مَنقصةِ تُهمةِ الخَورِ والضَّعفِ)، اعتَبرَ أنَّ (التَّراجُعاتِ لم تُكتَبْ في ظُروفِ القَهرِ والسَّجنِ والخَوفِ فَقط، ولكنَّها كُتِبتْ بإشرافِ وتَوجيهِ وتَدبيرِ وتَمويلِ وإمكاناتِ الحَملةِ الصَّليبيَّةِ اليَهوديَّةِ، ولم يَبذلوا فيها هذهِ الأَموالَ والجُهودَ إلَّا لأنَّها تَصُبُّ في مَصلحَتِهم، ولو كانوا لا يُحقِّقونَ بِها مَصالِحَهم لما سَمَحوا لِصاحِبِها أن يَنطِقَ أصلًا)[2].

ردَّ الدُّكتورُ فضلٌ على كِتابِ التَّبرئَةِ بِكتابٍ آخرَ سمَّاه (التَّعريَة لِكتابِ التَّبرِئةِ) نَشرتْ منه صَحيفةُ الشَّرقِ الأوسَطِ عدَّةَ حَلقاتٍ خِلالَ الأعْدادِ المَنشورةِ في الفَترةِ (١٨/ ١١/ ٢٠٠٨م - ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٨م).

والجُرأةُ على إسقاطِ رمزٍ كبيرٍ كالدُّكتورِ فضلٍ ليس عجيبًا ولا جَديدًا على مَنهجٍ يَعتمِدُ مَبدأَ «مَن ليسَ مَعي فهوَ ضِدِّي».

بَقيَ أن نذكر إلى أنَّ أبا مُصعَبٍ السُّوريَّ قد أشارَ إلى هذِه

(١) انتشرت الوثيقة على صفحات الإنترنت، ولا يُوجد طبعةٌ محدَّدة يمكن العزو إليها.
(٢) كتاب التبرئة (ص١٥).

الصِّفةِ عندَ المُتطرِّفينَ، فذَكرَ أنَّه حينَما أنكرَ على الجَماعةِ الإسْلاميَّةِ المُسلَّحةِ في الجَزائرِ جَرائمَها، قاطَعَه أنصارُها وتَوقَّفوا عن إرسالِ (نَشرة الأنصار)[1] إلى بيتِه، وَكان يُضطَرُّ إلى شِرائِها مِن أمامِ بابِ مُصلَّى أبي قَتادةَ الفِلَسطينيِّ، مع أنَّه كان مِن أَشهَرِ الكُتَّابِ فيها، وَكانوا يُرسِلونَها إلى مَنزِلِه إجلالًا واحترامًا، يقول: (سُبحانَ مُقلِّبِ القُلوبِ والأَحوالِ! وَهذا دائمًا نَهجُ هذه الشَّراذمِ مِن أهلِ الهَوى؛ عندَما تُوافِقُها على الحقِّ الَّذي عندَها تُمجِّدُك، ثمَّ لَمَّا تُنكِرُ عليها العِوَجَ الَّذي عندَها تَهوِي بكَ إلى أسفلِ سافلينَ)[2].

(١) يقول أبو مصعب السوريُّ: إنَّ نشرة (الأنصار)، ونشرة (المجاهدون) التابعة لجماعة الجهاد المصرية، ونشرة (الفجر) التابعة للجماعة الليبية المقاتلة، كانت تُمثِّل لسان حال التيار الجهادي في العالم في ذلك الوقت. مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، ص٣٠.

(٢) مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، ص٣٥.

ثانيًا: الاستِعلاءُ على المَناهجِ الجِهاديَّةِ الأُخرَى

مِن أبرَزِ مَظاهرِ التَّجربةِ الدَّاعشيَّةِ: أنَّها تَعامَلت مع سائرِ المُجاهدينَ بِمَنطقِ التَّعالي والتَّجاهُلِ المَتبوعِ بالتَّخوينِ والتَّكفيرِ، وقد شَملَ ذلك: جَبهةَ النُّصرةِ، وقاعدةَ الجِهادِ (بقيادةِ الظَّواهريِّ)، فضلًا عنِ الفَصائلِ السُّوريَّةِ بِمَشاربِها المُتعدِّدةِ.

وَفي هذا المَقامِ لا بدَّ منَ القولِ بأنَّ داعشَ لم يَأتِ بِجَديدٍ، ولم يَبتدِعْ عادةً لم تَألَفْها الجَماعاتُ المُتشدِّدةُ، وَهذا ما سنُوضِّحُه فيما يأتي.

يَملِكُ المُتشدِّدون مَنطقًا استِعلائيًّا في التَّعاملِ معَ مُختلفِ شرائحِ الإسْلاميِّين، وخاصَّةً المُجاهدينَ مِمَّن لا يُوافِقوهُم على أفكارِ الجِهادِ العالميِّ والصِّدامِ معَ الأنظِمَةِ.

وَهذا الاستِعلاءُ ناتجٌ منِ اتِّهامِ المَناهجِ الأُخرى بالقُصورِ والخَللِ والنَّقصِ؛ لِكَونِها لا تَحملُ مُفرداتِ المُفاصلةِ والمُواجهَةِ المُميتةِ معَ السُّلطاتِ الحُكوميَّةِ.

فهو نوعٌ منَ المُزايدةِ والفَخرِ، لكنَّه لا يَقِفُ عندَ مُجرَّدِ التَّباهي بالنَّفسِ والانتِقاصِ منَ الغَيرِ، وإنَّما يَنتقلُ إلى مَرحلةِ الاتِّهامِ بالحَيْدةِ عنِ المَبادئِ والأُصولِ الَّتي في تَركِها أو في تَركِ بَعضِها يَكونُ الانْحِرافُ المُتدرِّجُ نحوَ موالاةِ الكفَّارِ والرِّضا بِمَنهاجِهِم وعَدمِ الصِّدامِ مَعهم، وهوَ ما يَعني إخْلالًا بِعَقيدةِ الوَلاءِ والبَراءِ.

وأمَّا مَيدانيًّا، فإنَّ هذه الأفكارَ تُتَرْجَمُ عَمليًّا مِن خِلالِ الانْحيازِ عنِ الجَماعاتِ الجِهاديَّةِ والتَّميُّزِ عنها بِرايةٍ خاصَّةٍ، وعَدمِ الدُّخولِ في المُجتمعِ الجِهاديِّ المُتَّفِقِ على أهدافٍ واضحَةٍ، وَهذا ما تَجلَّى في تَجربةِ القاعدَةِ في العِراق على يدِ الزَّرقاويِّ الَّذي لم يَندمِجْ معَ أيٍّ مِنَ الفَصائلِ المُتشدِّدةِ أوِ المُعتدلَةِ، واستقَلَّ بِتَنظيمِه (التَّوحيد والجِهاد)، وَكذا فَعلَ الجُولانيُّ في سوريَّا حينَما شكَّل (جَبهةَ النُّصرةِ) بِموافقَةٍ ودَعمٍ مِن زَعيمِ تَنظيمِ داعشَ، مع أنَّ السَّاحةَ السُّوريَّةَ كانتْ تَعِجُّ بالفَصائلِ الإسْلاميَّةِ مِن مُختلَفِ الاتِّجاهاتِ.

ولا يقف الأمر عندَ الاستِقلالِ عنِ الفَصائلِ والكَتائبِ الجِهاديَّةِ، وإنَّما نرَى أيضًا أنَّ الجَماعةَ المُتشدِّدةَ تقومُ بتَقديمِ رُؤَاها على الرُّؤى السِّياسيَّةِ والشَّرعيَّةِ لِلجَماعاتِ الأُخرى، وعَدمِ المُبالاةِ بِها أوِ الرُّجوعِ إليها، ومُصادرةِ رَأيِها وتَجاهُلِها، ربَّما لِقُصورِها -في نَظرِ المُتطرِّفينَ- وعَجزِها عن رَسمِ سياسةٍ ووَضعِ أهدافٍ للعَملِ الجِهاديِّ.

وقدْ تَمثَّل هذا في مُبايعةِ الزَّرقاويِّ لأُسامةَ بنِ لادنَ في تِشْرينَ الأوَّلِ عام ٢٠٠٤م، وكرَّرَ الجُولانيُّ هذا عِندَما بايَعَ الظَّواهريَّ في نيسانَ عام ٢٠١٣م، وهذه البَيعةُ تَعني: رَهنَ العَملِ الجِهاديِّ لِرُؤيةِ القاعدَةِ وأفكارِ الجِهادِ العالميِّ، وسعيًا لِاختِطافِ قيادَةِ الجِهادِ مِن أهلِه وإجبارِهم على فِكرٍ وَسياسةٍ لا يَرضَوْنها، بلْ

وإجبارِهِم على تحمُّلِ نَتائجِ وتَبِعاتِ هذا الفِكرِ المُعانِدِ لكلِّ الأنظِمةِ، وهي الَّتي تَستجلِبُ الأعداءَ وتُكثِّرُهم.

نَذكرُ فيما يلي بَعضَ مَشاهدَ مِن الاستِعلاءِ الَّذي مارسَتْه جَماعاتُ القاعدةِ خِلالَ السَّنواتِ الماضيَةِ، وهي اليومَ تُعاني بسببِ داعش مِمَّا عانتْهُ قَديمًا بسبَبِها الفَصائلُ الإسلاميَّةُ المُجاهدةُ في أفغانِستانَ والعِراقِ وسوريَّا.

يقولُ مُصطفى حامِد المِصريُّ: (بَدأتْ تَظهرُ انتِقاداتٌ لِقادةِ التَّنظيماتِ الأفغانيَّةِ والطَّعنُ فيهمْ، وانتَشرَ الكَلامُ عَن عَقائدِ الأفغانِ وشِركيَّاتِهم، وطُرِحتْ مَقولاتٌ بأنَّ الأعاجمَ لا يَستطيعونَ إقامَةَ دَولةٍ إسلاميَّةٍ، وأنَّ العَربَ فَقط هُمُ المُهيَّئون لِذلك والقادِرونَ عليه، وَعلى رأسِ هذا الادِّعاءِ تَنظيمُ الجهادِ المِصريُّ وكبارُ مَسؤولي القاعدَةِ، وَكان لِهذا الاعتِقادِ تأثيرٌ كبيرٌ في مَدى مُساهمَتِهم في الجِهادِ في أفغانِستانَ فيما بعدَ مَعركةِ جاجي، وَكان له تَأثيرٌ كَبيرٌ في مَوقِفِهم مِن حركةِ طالبانَ عِندما عادوا إلى أفغانِستانَ مرَّةً أخْرى عام ١٩٩٦ م، فتَخطَّوا أوامرَ الحَركةِ وتَجاهلوا مَصالحَ أفغانِستانَ، فَكانتِ التَّداعياتُ الَّتي قادتْ إلى هَزيمةٍ ساحقَةٍ في الحَربِ ضدَّ أمريكا وتَحالُفِ الشَّمالِ)[1].

ويَقولُ أبو محمَّدٍ المَقدسيُّ: (ثمَّ فرَّج اللهُ عنَّا بِمنِّه وكرمِه،

(١) صليب في سماء قندهار، ص ٢٤.

فآثرتُ أنا البَقاءَ في البَلدِ لِمُتابعةِ ورِعايةِ الدَّعوةِ الَّتي بَدأناها، وكُلِّي أملٌ أن أَنقُلَها غربًا عبرَ النَّهر[1]، فلي هناك آمالٌ وطُموحاتٌ... وآثرَ أبو مُصعبٍ قطعَ ذلك والسَّفرَ إلى أفغانِستانَ، ولَم يَكنْ ذلك لِيُعجبَني خُصوصًا مع تَحفُّظاتي آنذاكَ على الأوضاعِ هُناك، أمَّا هوَ فقدْ كان مُتحمِّسًا لذلكَ ويَحثُّ كلَّ مَن يعرِفُ عليه.

أمَّا أخونا أبو مُصعبٍ فكان يَقولُ لِمَن يَعتُبُ عليه الهِجرةَ مِن البَلدِ: إنَّه رجلٌ يُحبُّ الجِهادَ وَلا صبرَ له على طَلبِ العِلمِ وتَدريسِه والدَّعوةِ إلى اللهِ، فاستَنفرَ هوَ الآخرُ طائفةً مِن إخوانِنا مَعه إلى أفغانِستانَ حيثُ استَفادوا مِن ظُروفِ البَلدِ ومُعسكراتِها.

وبَلغني أنَّ أبا مُصعبٍ وَمن مَعه منَ الشَّبابِ امتَنَعوا عنِ القِتالِ مَع الطَّالبانِ لَمَّا عايَنوا أشياءَ كُنتُ أتحفَّظُ بِسببِ بَعضِها على الأوْضاعِ هُناكَ، وَلا أتحمَّسُ لِلسَّفرِ الَّذي تحَمَّس له غَيري، فعايَنتُ تلكَ الأشياءَ بِعَين البَصيرةِ في وَقتٍ مُبكِّر دونَ أن أَتَجشَّمَ تلكَ المَسافاتِ الَّتي قَطعوها كي يُعاينوها بِعَين البَصرِ، مع أنَّها أشياءُ كانتْ مَعلومةً تَتناقَلُها وَكالاتُ الأنباءِ والصَّحافةُ، وسَمِعنا بَعضَها مِن خِلالِ جِهازِ الرَّاديو قبلَ أن يُفرَجَ عنَّا، وَمع ذلك فَقد كان الحَماسُ والخُروجُ مِن تحتِ ضَغطِ أعداءِ اللهِ هوَ الُمحفِّزَ الَّذي أعانَ على غضِّ الطَّرْفِ عن تِلكمُ الأشياءِ أوَّلًا، وَلا أدري ما الَّذي ضخَّمَها وجَعلَها مَوانعَ للقِتالِ في صفِّهِم فيما بعدُ، مع

(١) يعني غرْبَ نهر الأردن، والمراد فلسطين (الضفة الغربية).

أنَّ الأُصولَ تَقتَضي غيرَ ذلك)[1].

ولا نَدري هل كان امتِناعُ الزَّرقاويِّ عنِ القِتالِ مَع طالبانَ- بِحَسَبِ رِوايةِ شَيخِه- بِسببِ التَّحفُّظاتِ على عَقائدِهِم أم على طَريقَتِهِم في الإدارَةِ.

فضلًا عن هذه المَواقفِ، كانت هُناك مَواقفُ أشدُّ تَطرُّفًا في الطَّعنِ على حَركةِ طالبانَ، إذ صَدرَ كِتابٌ بعُنوان: (كشف شُبهاتِ المُقاتلينَ تحتَ رايةِ مَن أخلَّ بأصلِ الدِّينِ) ذهبَ فيه كاتِبُه إلى: (كُفرِ حركةِ طالبانَ الأفغانيَّةِ، وحركَةِ حماسٍ الفَلسطينيَّةِ، والحَركةِ الإسلاميَّةِ في كُردسْتانَ، وحَركةِ الجِهادِ من إخوانٍ مُسلمينَ في سوريَّا، وغَيرِهم)[2].

وإنْ تَركْنا هذا اللَّونَ مِنَ الغُلوِّ الَّذي نَبذَه أئمَّةُ الغُلاةِ في زَمانِنا، وتَوقَّفنا عِندَ تَجربةِ الزَّرقاويِّ في العِراقِ، فسَنجدُ أنَّه في أوائلِ رَسائلِه الصَّادرَةِ عنه قامَ بِتَصنيفِ طَوائفِ المُجتمعِ السُّنِّيِّ، ثمَّ وَصفَ المُجاهدينَ العِراقيِّين بأنَّ (أكثرَهُم قَليلو الخِبرةِ والتَّجربَةِ، وخاصَّةً في العَملِ الجَماعيِّ المُنظَّمِ، ولا شكَّ أنَّ ذلكَ بِسببِ نِتاجِ نِظامٍ قَمعيٍّ، عَسكَرَ البلدَ، ونَشرَ الرُّعبَ، وبثَّ الخَوفَ والوَجلَ، ونَزعَ الثِّقةَ بينَ النَّاسِ، ولِذلك فأكثرُ المَجاميعِ

(١) الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة: آمالٌ وآلامٌ، كتبها المقدسي في سجن قفقا في الأردن، جمادى الثاني ١٤٢٥هـ.

(٢) جؤنة المطيبين، ص ٤٠، وهو ردُّ أبي قتادة الفلسطيني على هذا الكتاب.

تَعملُ مُنفردَةً، مِن غيرِ أُفقٍ سياسيٍّ أو بُعدِ نَظرٍ وإعدادٍ لِوِراثةِ الأرضِ، نَعم بَدأتِ الفِكرةُ تَنضَجُ، وعَلا الهمسُ الخَفيفُ لِيُصبحَ حديثًا صاخبًا عَن وُجوبِ التَّجمُّعِ وتَوحيدِ الرَّايةِ؛ لكنَّ الأُمورَ ما زالتْ في بَواكيرِها ونحنُ بِحمدِ اللهِ نُحاولُ إنضاجَها سريعًا)، ثمَّ أضافَ: (الجِهادُ هنا وللأسَفِ فهوَ ألغامٌ تُزرَعُ، وصَواريخُ تُطلَقُ، وهاون يُضرَب مِن بعيدٍ، وَلا زالَ الإخوَةُ العِراقيُّونَ يُؤثِرونَ السَّلامةَ، وأن يَنقلِبوا إلى أحضانِ أَزواجِهِم لا يَروعُهم شيءٌ، ورُبَّما تَباهتِ المَجاميعُ فيما بَينَها أنَّه لم يُقتلْ مِنها أحدٌ أو يُؤسرْ، ولقد قُلنا لَهم في مَجالِسِنا الكَثيرةِ مَعهُم: إنَّ السَّلامةَ والنَّصرَ لا يَجتمِعانِ)، وفي الرِّسالةِ نفسِها يَقولُ: (نحنُ نَجهدُ مُنذ فَترةٍ في رَصدِ السَّاحةِ وغَربلةِ العاملينَ بَحثًا عنِ الصَّادقينَ ذَوي المَنهجِ السَّويِّ لِنَتعاونَ مَعهم على الخَيرِ، ونُنَسِّقَ مَعهم بعضَ الأعمالِ، وُصولًا إلى الالتِحامِ والتَّوحُّد، بَعدَ التَّمحيصِ والتَّجريبِ)[1].

وفي رِسالةٍ أخرى له: (قَد يَكونُ النَّفَسُ العامُّ لِجِهادِنا في العِراقِ يَميل إلى الشِّدَّة والعَزيمةِ، وَهذا أمرٌ لا نَجهلُه، بل نَسعى لِتَدعيمِ أركانِه، ونَتواصى بِه معَ إخوانِنا، ونُحاولُ أنْ نَغرِسَه في نُفوسِ المُسلمينَ في العِراقِ وخارِجَه، وما ذاك إلَّا لِمَيلِ أكثرِ النَّاس في هذه البِلادِ إلى الدَّعَةِ والرَّاحةِ وإيثارِ السَّلامةِ)[2].

(١) جامع لخطابات الزرقاوي، ص ٦٧، ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

وفي تَموزَ عام ٢٠٠٥م انتَقَد الزَّرقاويُّ فَصائلَ الجِهادِ المَحليَّةَ الَّتي لا تَرتبطُ بأفكارِ الجِهادِ العالَميِّ، ولا تَعتمِدُ التَّشدُّدَ والغُلوَّ كَمِعيارٍ لِصوابِ الاختياراتِ والقَراراتِ السَّياسيَّةِ والمَيدانيَّةِ[1].

وفي مَطلعِ عام ٢٠٠٦م انتقَدَ الزَّرقاويُّ فصائلَ سَلفيَّةً مُقاتلةً دونَ أن يُسمِّيَها، حيثُ قالَ: (وأمَّا نِفاقُ المَنهجِ اليَومَ فإنَّ أخطرَ وُجوهِهِ الوَطنيُّونَ والمُنتسِبونَ لِلسَّلفِ زُورًا، فهُم يَلبسونَ على النَّاسِ أمرَ دينِهم، ويَخدَعونَ الجهَّالَ بِمُقاتَلتِهمُ الأعداءَ، وسَعيِهم إلى تَحريرِ البِلادِ مِن نِيرِ المُحتلِّ، وهُم في الوَقتِ ذاتِه يُسِرُّون العَداءَ للشَّريعةِ؛ بِمُحاربةِ دُعاتِها -شَعروا أو لم يَشعُروا، عَلِموا أو لم يَعلَموا - ولَعَمْرُ اللهِ تَعالى إنَّ هؤلاءِ همُ العَدوُّ القادمُ، وهُم مِن جِنسِ شرٍّ غائبٍ مُنتظَرٍ)[2].

استمرَّتِ القاعدَةُ في عهدِ الزَّرقاويِّ على خِطابِ وسياسةِ الاستِعلاءِ والإقْصاءِ، حتَّى جَنحتْ إلى تَشكيلِ «مَجلسِ شورى المُجاهدينَ» دونَ مُبالاةٍ بأكبرِ الفَصائلِ العِراقيَّةِ المُعتدلةِ والمُتشدِّدةِ على حدٍّ سواءٍ (كَجَماعةِ أنصارِ السُّنَّة، وجَيشِ المُجاهدينَ، وكَتائبِ ثَورةِ العِشرينَ، والجَيشِ الإسلاميِّ في العِراقِ)، معَ أنَّ مَفهومَ الشُّورى يَعني استيعابَ الجَميعِ ونَبذَ

(١) جامع لخطابات الزرقاوي، ص ٢٨٩-٢٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨٥-٤٨٦.

الاستِبدادِ بالأَمرِ والتَّفرُّدِ به دونَ الآخَرينَ.

وبَعدَ مَقتلِ الزَّرقاويِّ بأشهُرٍ، أعلنتِ القاعدَةُ قيامَ دَولتِها في المَناطِقِ السُّنِّيَّةِ، وَكان هذا الإعلانُ أشبهَ بإعلانِ حربٍ على المُجتمعِ السُّنِّيِّ والعملِ الِجهاديِّ بِرُمَّتِهِ.

وقد واجهَتْ هذه السَّياسةُ نقدًا مِن بعضِ المُتطرِّفينَ، حيثُ كتبَ المُلَّا (فاتح كريكار) مُؤسِّسُ جماعةِ أنصارِ الإسلامِ الكُرديَّةِ مقالًا جاءَ فيه: (أقولُ مُذكِّرًا أنَّ أستاذيَّة القاعدَةِ في الجِهادِ لا تَتطلَّبُ تَرفُّعًا على كَثيرٍ ممَّا في أيدي الجِهاديِّينَ المُبتدئينَ فَحسبُ -باعتِبارِ أنَّ التَّنافسَ هذا يُعيدُ النَّفْسَ إلى رُتَبٍ ارْتَقَاها- بل يَنبَغي لَها أنَّها قد وَصلَت إلى مَشاهدَ مِن مَنازلَ في تَزكيَةِ النَّفسِ الجَماعيَّةِ لولا المَيدانُ الصَّاخبُ لَما رأى حقًّا لَها حتَّى على مَن آذاها! ولا شيءَ لَها قِبَلَهُ؛ لأنَّها تُريدُ أن تُعطِيَ المثالَ القُرآنِيَّ لِمَن رَضِيَ بعقدِ التَّبايُعِ مع الله، وهو على يَقينٍ بأنَّ أجرَه قد وجَب على الله ... فَما لِأُستاذيَّةِ القاعدَةِ تَزاحمُ المُبتدئينَ؟!)

(لا أحدَ مِنَ العِراقيِّينَ الشُّرفاءِ يُنكرُ دورَ القاعدَةِ وفارِسِها الزَّرقاويِّ رَحِمَه اللهُ في مُشاغلَةِ الاحتِلالِ وجَيشِه الباغي إلى أنِ اشتدَّت سَواعدُ الفَصائلِ العِراقيَّةِ الَّتي أنضَجتْها المَسؤوليَّةُ، فَغدَوْا فُرسانًا يَحملونَ الرَّايةَ الواضِحةَ ويُسيِّرون الكَتائبَ إلى الهَدفِ المَنشودِ، وقد أعلَنَه عُرفاءُ القَومِ المَعروفونَ..

ولكن في الوَقتِ الَّذي كانوا فيه بِحاجةٍ إلى مَزيدٍ من نَقلِ التَّجارِبِ العَمليَّةِ إليهم لِيَستفيدوا مِنها لا لِيستَنْسِخوها، لِيأخُذوها لا لِتُفرضَ عَليهم، لِتكونَ تَنشِئَتُهم الجَماعيَّةُ هادئةً مُتدرِّجةً رَغم صَخبِ الحَربِ وتَسارُعِ أحداثِها.. وكانتِ الأُمَّةُ تَأمُلُ مِنَ القاعدَةِ أُستاذيَّةً مُترفِّعةً مُرشدَةً لا جَماعةً إضافيَّةً أخرى مُزاحمَةً! لم تَكتفِ القاعدَةُ بِذلكَ وهوَ مِن حقِّها، فأَعلنتْ «دَوْلة العِراقِ الإسلاميَّة»!

وَهذا بِنَظري القَصيرِ أغرَبُ خُطوةٍ أقْدموا عَليها! لأنَّ الاسمَ الكَبيرَ لا يُكبِّرُ المُسمَّى.. كانتْ أفغانِستانُ، والقاعدةُ فيها، دولةً تحوَّلتْ إلى إمارةٍ، فَكيفَ بِفَرعٍ لِلقاعدَةِ في العِراقِ لا تَحكمُ إلَّا أفرادَها تَتحوَّلُ إلى دَولةٍ (وَليستْ إمارةً)؟! في بُقعةٍ لم يَعُدْ فيها أثرٌ لِدَولةٍ حَديثةٍ بُنِيت خِلالَ ثَمانينَ عامًا، دُمِّرت بِمُؤسَّساتِها كُلِّها بِيدِ احتِلالٍ ما زال جاثِمًا يُوقِّعُ عُقودَ السِّنينَ الخَمسينَ المُقبلَةِ!

أَلَيس هذا الانتِقادُ مُساويًا في مَضمونِه لِانتِقادِ حماسٍ في فِلَسطِينَ لِمُشاركَتِها في إدارَةِ دَولةٍ وَهميَّةٍ أو في تَشكيلِ حُكومةٍ لا تَملِكُ مَعبرًا لإدخالِ الصَّدقاتِ إلى مَن يَستظلُّونَ بِظِلِّها؟!

إنَّ أُستاذيَّةَ القادةِ جاءتْ حيثُ جاهَدوا دونَ اسمٍ وَناصَروا دونَ إعلامٍ، ولَمَّا صار الاسمُ لم يَزِدِ الرِّجالَ المُبايَعينَ إلَّا تَواضُعًا! وقدْ بايَعوا أميرًا أعجَميًّا لم يَبلغْ بِعلمِه أيًّا مِن عُلماءِ

المُثلَّثِ السُّنِّيِّ.. فَلا مُلَّا عُمَر -على جَلالةِ قَدرِه- يُشبِهُ الشَّيخَ الجبوريَّ، ولا عَبْد السَّلام ضَعيف أَفقَهَ مِن الدُّكتورِ إبراهيمَ الشمري.. وكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

فَكيف رَضيَ القومُ في العِراقِ تَخطِّيَ الرِّقابِ؟! رقابِ مَن يَملكونَ رُؤيةً أوضَحَ وعِلمًا أغزَرَ وعُمقًا أوسَعَ.. ولهم نَفسُ الرَّايةِ والهَدفِ!

إنَّ اختِلافَ انتِماءِ العَربِ في المُثلَّثِ السُّنِّيِّ لا يَفهمُه إلَّا المُلمُّ بِتاريخِ القَبائلِ، وإنَّ التَّرابُطَ العَقائديَّ المُتأصِّلَ حَديثًا بِحاجةٍ إلى زَمنٍ وتِبيانٍ كي يَغلِبَ الانتِماءَ القَبليَّ.. وإذا لم تُعِرِ الفَصائلُ الجهاديَّةُ في العِراقِ -وفي مُقدِّمَتِهم دولةُ العِراقِ الإسلاميَّةُ- الاهتِمامَ البالغَ لِهذا، فَستُصبحُ لا سَمَحَ اللهُ أسلاكُ التَّفجيرِ تَنقُلُ الشَّرارةَ في الخَفاءِ)[1].

وفي مقالٍ آخرَ له يقولُ كريكار: (وَجد الأخُ أبو مُصعَبٍ ساحةً أوسعَ مِن قُدرةِ خيلِه، بل تَخيُّله، وطاقةً أكبرَ لِتَوظيفِها، ومشاكلَ بلدٍ أعقَدَ مِن أن يَستوعِبَه، وأعداءً تكالَبوا عليه مُجتمعينَ وهو يَنفرِدُ.

كان عَليه أن يَتقوَّى بقوَّةٍ يكونُ لها احتِرامٌ بينَ المُسلمينَ عُمومًا، والعِراقيِّينَ العَرَب مِنهُم خُصوصًا؛ لِيُرسِّخَ قدمَه ويُسنِدَ

(١) من مقال له بعنوان (القاعدة والأستاذية)، منشور على موقع الجزيرة نت بتاريخ (٦ حزيران ٢٠٠٧م).

ظَهرَه، فكان أمامَه: العِراقيُّونَ، والقاعدَةُ.. فاختارَ الثَّانِيَ، وكان لا بدَّ مِن تَزكيَتِها إيَّاه، ولم تَكنْ في البِدايةِ سَهلةً، لكن بَعدَ مُرورِ عامَينِ وظُهورِ تَأثيرِه صارتْ خُطَّتُه تَتقاطعُ معَ خُطَّةِ القاعدَةِ، أو كان يَجبُ أن تَتقاطعَ، فآثَرَتِ القاعدَةُ تَأميرَه رَغمَ تَخوُّفِهم مِن بعضِ مُتغيِّراتِه الفِكريَّةِ ومُمارساتِه.

اصْطَدَم بالمَشروعِ «الوَطنيِّ» لِجَماعاتِ الجِهادِ العِراقيَّةِ الَّتي كانتْ تَمتَلِكُ تاريخًا ورُؤيةً ومَشروعًا وقوَّةً.. لم يَفعلْ أخونا أبو مُصعَبٍ في العِراقِ معَ قادةِ الجِهادِ ما فَعلَه المُجرِّبون ابنُ لادنَ والظَّواهريُّ في أفغانِستانَ مَع قادةِ الجِهادِ، هُم كانوا في خِدمةِ الجِهادِ الأفغانيِّ، جُهدُهُم وجِهادُهُم كان رَدِيفًا لهم، لكن أبو مُصعبٍ ربَّما شعَرَ سَذاجةً أنَّ العِراقَ خالٍ أو شِبهُ خالٍ! وأنَّ مَشروعَه يَجبُ أن يُقبلَ.. فاصطَدم مُبكِّرًا بالجَماعاتِ الجِهاديَّةِ العِراقيَّةِ الَّتي كانت بِحاجةٍ -كالأفغانِ الأوائلِ في زَمنِ الخِذلانِ الإسلاميِّ هذا- إلى دَعمِ الأُمَّة! لا أنْ تُفرَضَ عليها أَجِندَةُ صِراعٍ خارجيَّةٌ، وخُصوصًا منَ القاعدةِ الأُمميَّةِ في زمنٍ يُعتبَرُ إحسانُ الظَّنِّ بها جَريمةً!

وكانَت له إساءاتٌ للجِهادِ:

- لم يَكنْ في أهلِ العِراقِ ولا بَينَهم- وهُم أهلُ قِتالٍ وحُروبٍ- مَن يَقتُلُ خَصمَه ذبحًا، فلمَّا فَعَل هوَ ذلكَ وأعلَنَ، أساءَ إلى نفسِهِ وإلى مَن يَليهِ.

- فَتوَاه عنِ الشِّيعةِ عُمومًا وجَوازِ قَتلِهم وقِتالِهم، في تَشدُّدٍ يأتي عادةً من سَلفيِّينَ يَنتَمونَ إلى بُلدانٍ لا يُوجَدُ بها شِيعةٌ!

- تَكفيرُه مَن يُشاركُ في العمليَّةِ السَّياسيَّةِ في العراقِ تحتَ سَيطرةِ الاحتِلالِ، وجوازُ قَتلِه وقتلِ مَن يُجيزُ ذلك، فقُتِلَ بأمرِه أُناسٌ مَشهودٌ لَهُم مِن أهلِ السُّنَّةِ.

- قَتلُه المُتطوِّعينَ في سلكِ الشُّرطةِ في الرَّمادي، وقد كانوا كلُّهم مِنَ السُّنَّة، وبَعضُهُم مِن أفرادِ الجَماعاتِ الجِهاديَّةِ الأُخرى أُدخِلوا كَعُيونٍ، أو حمايةً لِأَعراضِهِم مِن همجيَّةِ الشِّيعةِ.

- تَفجيرُ الفُندقِ في عَمَّانَ، رغمَ أنَّ كَثيرًا مِمَّن قُتِلوا في الفُندقِ كانوا رُؤوسَ مُخابراتٍ! لكنَّ الإعلامَ الأُردنِّيَّ استَطاعَ أن يُعيدَ السَّهمَ مَسمومًا إلى نَحرِ أبو مُصعبٍ! إضافةً إلى عَرض المرأةِ العِراقيَّةِ مُتحيِّرةً وهيَ بِحزامٍ ناسفٍ، مُستضعفَةً لا أحدَ يَتجرَّأُ أن يُدافعَ عَنها قانونيًّا!!

هذه وَغيرُها تَراكمَتْ عندَ السُّنَّةِ عُمومًا وأهلِ الأنبارِ خُصوصًا رَغمَ صَبرِهِم عليه، وأشهَدَ أنَّ الجَماعاتِ الجِهاديَّةَ كانتِ الأَصبرَ على مُمارساتِه، وجَماعتِه القَريبةِ جدًّا مِن جَماعةِ التَّكفيرِ الجَزائريَّةِ.

بَدأ مَشروعُ أبي مُصعَبٍ يَصطدِمُ ويَضعُفُ، يَصطدِمُ بِواقعٍ جِهاديٍّ لا يَتحرَّكُ باتِّجاهِهِ، فاصطَدَمَ بالإسْلاميِّينَ السُّنَّةِ وخُصوصًا في الأنْبارِ، وحَصلَت بَعضُ المُناوشاتِ بَينَهُم بعدَ

تَسليحِ الحُكومةِ إيَّاهُم وبينَ جَماعةِ أبي مُصعبٍ)[1].

وإذا تَركنا الزَّرقاويَّ وما أحدَثَه في العَملِ الجِهاديِّ العِراقيِّ، ونَظرْنا إلى جَماعةِ أنْصارِ الإسْلامِ الكُرديَّةِ العِراقيَّةِ، فنَجدُ أنَّ أميرَها يَكتُبُ بعدَ الثَّوراتِ العَربيَّةِ عام ٢٠١١م:

(إنَّ قُصورَ الإدْراكِ السِّياسيِّ ظاهرٌ على خِطابِ وُعَّاظِ التَّغييرِ دومًا، فلا يُعوَّلُ عَلى مُقرَّراتِهِمُ السِّياسيَّةِ في الثَّوراتِ، ولا بدَّ مِن تَقديمِ قَراراتِ أئمَّةِ الجِهادِ عَلى مقرراتهم)[2].

يُمكنُ تَلخيصُ تَصوُّرٍ عنِ المِنظارِ الَّذي يَنظُر به المُتطرِّفونَ لِما يُحيطُ بِهم مِن مَناهجَ وأجْنداتٍ إسْلاميَّةٍ مِن كَلامِ عَطيَّةَ اللهِ اللِّيبيِّ حيث يقول: (إنَّ رايةَ الجِهادِ لا بُدَّ أن تَكونَ في أيدٍ أمينَةٍ، يُمكنُ ائتِمانُها على الجِهادِ، أُناسٍ مِن أهلِ الصِّدقِ ومَتانةِ الدِّيانَةِ والتَّقْوى وأهلِ العَزائمِ والصَّبرِ، والحَركةُ الإسلاميَّةُ جرَّبتْ وعانَتْ وتَراكَمَت عِندَها خِبراتٌ وتَجارِبُ، فَهي لَيست في مَرحلةٍ طُفولةٍ، بل هي بِحمدِ اللهِ بالغةٌ راشدَةٌ سديدَةٌ شديدَةٌ، قد بَلغتْ أَشُدَّها واستَوتْ، وآتاها اللهُ حظًّا مِنَ الحِكمةِ طَيِّبًا والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، فأنا شَخصيًّا بِحَسبِ مَعرِفتي أستَبعِدُ

(١) من مقال له بعنوان (الرؤية الزرقاوية وحملها الثقيل) منشور على موقع الجزيرة نت، بتاريخ (١٥ حزيران ٢٠٠٦م).

(٢) رسالةُ أميرِ جماعة أنصار الإسلام؛ الشيخ أبي هاشم محمد بن عبد الرحمن آل إبراهيم إلى الأمة الإسلامية ومجاهدي الجماعة، صادرة برقم (٣٨٤) بتاريخ (١٥ كانون الأول ٢٠١١م).

أنَّ الحَركةَ الجِهاديَّةَ اليومَ تُفرِّطُ بِسهولةٍ في رايتِها وتَضعُها في أيدٍ غيرِ أمينَةٍ!!

ما هي الأَيدي غيرُ الأَمينَةِ هذه؟

يوجَد أناسٌ يُريدونَ أن يَقودوا الجِهادَ والحَركةَ الجِهاديَّةَ، وأن يُمسِكوا بِزمامِ الأُمورِ وتَكونَ بِأَيديهمُ الرَّايةُ، لكن لَيس عِندَهمُ المُؤهِّلاتُ لِذلك، ونَحن نَعرِف ذلكَ، والحَركةُ الجهاديَّةُ تَعرِفُ ذلكَ جيِّدًا، وهيَ واعيةٌ بِحَمدِ اللهِ وعيًا كاملًا بِهذا الشَّأنِ كَما قُلتُ لكَ، فَلا يُمكنُ أن تُجاهدَ الحَركةُ الجِهاديَّةُ وتَبلي وتُناضِلُ وتُكافحُ وتُعاني وتُقدِّمُ التَّضحِيَاتِ الجَليلةَ ثمَّ تُسلِّمُ الرَّايةَ بِسُهولةٍ لِمَن لا يُؤتَمنُ عليها، هذه نُقطةٌ في نَظَري في غايةِ الأهمِّيَّةِ، حتَّى يَفهمَ الإنسانُ مَبنًى مِن مَباني الصِّراعِ وتَكونَ عِندَه خَلفيَّةٌ.

هناك أُناسٌ مِن داخِلِ إطارِ ما يُسمَّى المقاومةَ أو حتَّى إن سُمِّي جهادًا، طارِئونَ وجُدُدٌ على الجِهادِ وعلى طَريقِ الجِهادِ، وعلى فِقهِ الجِهادِ وَعلى مَنهجِ الجِهادِ، يَفتَقدونَ إلى الرُّسوخِ، ومُتقلِّبون، ولم يوضَعوا على المَحكِّ الحَقيقيِّ، ولم تُنجِبْهمُ الأَيَّامُ الصِّعابُ، بل أَنجبَتْهم ظُروفٌ وأحوالٌ أشبهُ ما تَكونُ بِالاتِّفاقيَّةِ، وكلُّ شيءٍ بِقَدرِ اللهِ تَعالى، وُجِدوا فيها ووَجَدوا أنفُسَهُم فيها قياداتٍ، هؤلاءِ كيفَ يُمكنُ لِلحَركَةِ الجِهاديَّةِ أن تَأتَمِنَهم على الرَّايةِ؟! حُقَّ لِلجَميعِ أن يُجاهِدَ ويُساهِمَ، لكنْ حُقَّ

أيضًا لِأَمثالِ هَؤلاءِ أن يَعرِفوا قَدرَ أنفُسِهم.

عِندَما أقولُ «الحَرَكَة الجِهاديَّة»، فإنَّني أعْني بِها الحَركةَ الجِهاديَّةَ العالميَّةَ الَّتي هيَ مَشروعُ أُمَّةِ الإسلامِ الكامِلِ المُتكامِلِ المُترابِطِ، وهيَ حركةُ التَّوحيدِ، والجِهادِ، والسُّنَّةِ، والوَلاءِ والبَراءِ، ونَصاعةِ العَقيدةِ، وصَفاءِ المَنهجِ ووُضوحِه، والصِّدقِ والصَّدعِ بِالحقِّ، الَّتي لا تَرضَى بأنصافِ الحُلولِ والتَّسوِيَاتِ)[1].

ويَقولُ أيضًا: (التَّزكيَةُ لا يُقتصَرُ فيها على القَولِ، بل لا بدَّ مِنَ النَّظرِ في العَملِ، وانتِظارِ التَّجاربِ، ووَضعِ الإنسانِ على المَحكَّاتِ، والمُعاشرَةِ للإنسانِ والخِبرةِ به، وعِندما نُعبِّر بالخِبرةِ فإنَّك لا بدَّ أن تُلاحظَ أنَّ مَعنى الخِبرةِ يَدورُ حولَ المَعرفةِ بِبَواطنِ الأُمورِ، وبَواطِنُ أمورِ الإنسانِ إنَّما تَبينُ للمُخالِطِ له المُجرِّبِ المُعاشرِ القَريبِ الَّذي بَلاه وعَرفَه ليلًا ونَهارًا، وفي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ وسائرِ الأحوالِ.

ولِهذا عِندَما نرى مَناهجَ الجَماعاتِ المَكتوبةَ مَثلًا، فكَثيرٌ منها حَسَنٌ طيِّبٌ في ظاهِرِه، قد يُعجبُكَ، بل قدْ يَسحرُك وتَجِدُ فيه إتقانًا وحُسنَ تَقسيمٍ وتَنويعٍ، وضربًا على أوتارٍ حسَّاسةٍ ونُفوذًا من خلالِ مَسامِّ الوَعيِ واللَّاوَعي، وذكاءً وألمعيَّةً وأدبًا جمًّا، فَهذا جيِّدٌ، لكنْ لا تَتسرَّعْ في تَزكيتِهم والثَّناءِ عَليهم

(١) لقاء مركز اليقين الإعلامي مع عطية الله، ص ١٣ - ١٤.

والشَّهادةِ لَهم حتَّى تَرَى العملَ وتخبُرَ الحَقِيقَةَ وَراءَ هَذا القولِ الجَميل)[1].

فتَجارِبُ المُتطرِّفينَ الَّتي كَبَّدت البِلادَ الإسلاميَّةَ والمَشاريعَ الإصلاحيَّةَ خَسائرَ كَبيرةً، تُعتَبرُ في نظرِ أهلِها مَخزونًا منَ الخِبرةِ وحَصادًا منَ العَملِ يُؤهِّلُهم دونَ غَيرِهِم للقيادَةِ وحَملِ الرَّايةِ، ونَتيجةً لِذلكَ فهُم لا يُحسِنونَ التَّعاملَ مَع مَن سِواهم إلَّا بِمَنطقِ فرضِ الرَّأيِ والاستِبدادِ وحَملِ المُخالفِ بالقوَّةِ على ما يَختارونَه.

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

ثالثًا: النِّقمةُ على المُجتمعاتِ الإسلاميَّةِ

ما ظَهر مِن داعشَ مِن أعمالٍ عُدوانيَّةٍ ضدَّ العشائرِ والمَناطقِ السُّنِّيَّةِ في العِراقِ وسوريَّا، قد سَبقَ للقاعِدَةِ القيامُ بِمثلِه في العِراقِ أيَّامَ الزَّرقاويِّ وما بَعدَه.

استخدَمَ تَنظيمُ القاعدَةِ في العِراقِ القوَّةَ المُفرِطةَ، واعتَمَد الأسلوبَ العنيفَ في التَّعاملِ مَع مُخالِفيهِ مِنَ السُّنَّةِ؛ كالتَّفجيراتِ الانتِحاريَّةِ الَّتي تَحصِدُ العَشراتِ منَ المَدنيِّينَ أوِ المُتطوِّعينَ للشُّرطةِ والجَيشِ، أو قصفِ المَناطقِ المُعارضةِ له بالهاوناتِ وحِصارِها[1]، وتَفاقَم الأمرُ بعدَ أن دَخلتِ المَناطقُ السُّنِّيَّةُ في حربٍ مَع القاعدَةِ وتَشكَّلت قُوَّاتُ الصَّحوةِ عامَيْ ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م، وقد شبَّه أبو عُمَرَ البَغداديُّ الثَّورةَ العَشائريَّةَ بالرِّدَّةِ الجَماعيَّةِ الَّتي عَصفَت بالجَزيرةِ العَربيَّةِ بَعدَ وَفاةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[2]، حينَها استحرَّ القَتلُ بِمُختلَفِ مُكوِّناتِ المُجتمعِ السُّنِّيِّ (صَحواتٍ، مُقاومةٍ، عشائرَ، قُوَّاتٍ أمنيَّةٍ، مَدنيِّين).

والأمرُ لا يَقتصِرُ على الغُلوِّ والجُرأةِ على استِباحةِ دِماءِ طائفةٍ كَبيرةٍ منَ المُسلمينَ، وإنَّما يَتعدَّاه إلى عَدمِ النَّظرِ في عَواقِبِ الأعْمالِ وتَقديرِ تَبِعاتِها على مُجتمعاتِ المُسلمينَ، كما في

(١) كما حصَل في ناحية الضلوعية شمال بغداد، وذكرتْ ذلك جماعةُ أنصار السنة في نشرة لها تناولتْ فيه تأثيرَ الغلوِّ في الساحة الجهادية والمجتمع السُّنِّي، بعنوان (سفر حقيقة أم سراب وهم، الرد على سفر الحقيقة).

(٢) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ٤٥، ٤٦).

عَمليَّةِ ١١ أيلول ٢٠٠١م، وإعلانِ الحَربِ على شِيعَةِ العِراقِ عام ٢٠٠٥م، وقَرارِ تَشكيلِ إمارةٍ إسلاميَّةٍ في العِراقِ عام ٢٠٠٦م، وقَرارِ تَوسيعِ الإمارةِ إلى الشَّامِ الَّذِي أخرَج ما يُسمَّى بتَنظيمِ داعشَ عام ٢٠١٣م، ثم إعلانِ الخِلافةِ في تموز ٢٠١٤م، فكُلُّ هذه القَراراتِ تَسبَّبَتْ في حُروبٍ ومَعارِكَ وصِراعاتٍ داخليَّةٍ أرهَقتِ المُجتمعاتِ الإسلاميَّةَ وكلَّفتْها فاتورَةً لا يُمكنُ تَقديرُها مِنَ القَتلى والمُعتقَلينَ والمُهجَّرينَ والمُعوَّقينَ والجَرحَى.

وإذا كان تَعامُلُ المُتطرِّفينَ مع مُخالِفيهِم مِنَ الإسْلاميِّينَ والمُجاهدينَ بِطَريقةِ الِاستِعلاءِ والاستِبدادِ والإقْصاءِ، فَمِنَ المَنطقيِّ أن تَكونَ سياسَتُهُم تِجاهَ المُجتمعاتِ أشدَّ قَسوةً وعُنفًا.

ومَن يَملِكُ الجُرأةَ على تَخوينِ حملة السِّلاحَ، فإنَّ جُرأَتَه على العوامِّ -الَّذين لا يَتدخَّلون في شُؤونِ السِّياسةِ ويَنشَغِلونَ بتَأمينِ مَعيشَتِهِم- ستكونُ أكبرَ.

وَفي بعضِ العِباراتِ تَجدُ لغةَ النِّقمةِ والتَّحامُلِ على المُجتمعاتِ بِسَببِ عدمِ تَأييدِها لِلقاعدَةِ، أو لِكونِها تُشكِّلُ عائقًا أمامَ تَنفيذِ عَمليَّاتِها.

يَقولُ عطيَّةُ اللهِ: (التَّأييدُ لِلمُجاهدينَ مِن قِبَلِ الجُمهورِ، هوَ مَطلبٌ نَحرِصُ عليه، نَعَمْ، لكنْ لَيس هوَ كلَّ المَطلبِ، ولا هوَ أوَّلَ وأهَمَّ المَطالِبِ، فإظْهارُ الحقِّ على قِلَّتِه وضَعفِ أَهلِه

وإبرازُه وإعلانُه ورفعُ رايَتِه يَأوِي إليها مَن وفَّقَه اللهُ، ولو بعدَ حينٍ، ويَتأثَّر النَّاسُ بِها كما يَتأثَّرُ النَّاسُ بالشُّهَداءِ الثَّابتينَ على الحقِّ، وَما في ضِمْنِ ذلكَ مِنَ الخيرِ والبَركاتِ، هذه هيَ أهمُّ الأولويَّاتِ، وأمَّا الجُمهورُ فإنَّنا مع حِرصِنا على كَسبِهم وتَأليفِهم والتَّيسيرِ عَليهم وعَدمِ تَنفيرِهم، فإنَّنا نَعلمُ أيضًا أنَّ جُمهورَهُم معَ الأهواءِ والشَّهواتِ وَمع الغالِبِ، وكما يقولُ أهلُنا في الجَزائرِ: (مع الواقفِ ولو كان سَيِّدي البَغْلَ)، فأغلَبُهم هُمْ مُسلِمو العافيَةِ والدَّارِ، وعندَ المَحكَّاتِ والمِحَنِ فإنَّهُم يَسقُطون سِراعًا إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ تعالى، غالِبُهم لا يُبالون بِدينٍ ولا تَوحيدٍ إذا سَلِمت لهم دُنياهُم... إلخ ما تَعرفون ولا نُطيلُ به، فَهذه حقائقُ لا تغيبُ عنَّا، والمُجاهدُ أحيانًا يوضَعُ بينَ أن يَختارَ الجُمهورَ أو يَختارَ إظهارَ الحقِّ الَّذي لا مُساوَمةَ فيه كالتَّوحيدِ، فلا شكَّ أنَّ الحقَّ هوَ التَّمسُّكُ بالتَّوحيدِ وإن خَسِرَ الجُمهورَ، فنحنُ لسنا شُيوعِيِّينَ بروليتاريين)[1].

ويَقولُ أيضًا: (الأَصلُ أنَّنا لا نَقتُلُ مُسلِمًا، لكنْ لِأجلِ اختِلاطِ النَّاسِ، ولِأجلِ فَسادِهم وقِلَّةِ دينِهم، الَّذي يَجعلُهم يَكونون مَع المُرتدِّين ويَخدُمون الدَّولةَ المُرتدَّةَ ويُوالونَها بَدلَ أن يَقوموا بالواجبِ في الخُروجِ عليها، وأمثلُهم طَريقةً السَّاكتُ السَّاعي في كَسبِ عَيْشِه في وَظائِفِها ومَرافِقِها، وذلك مَردُّه في الأكثَرِ

(١) لقاء منتديات شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله، ص ٢٢.

لا إلى الجَهلِ، بل إلى اختيارِ الحَياةِ الدُّنيا وزينَتِها وزُخرُفِها، والرُّكونِ إلى العاجِلَةِ وإلى الرَّاحةِ والدَّعَةِ والمَسكنَةِ والرِّضَا بِخَفضِ العَيشِ في ذِلَّةٍ، يُزيِّنُ كلَّ ذلكَ شُبُهاتُ المشبِّهينَ المُموِّهينَ مِن عُلماءِ السَّلاطينِ وعُلماءِ الدُّنيا لا الدِّينِ)[1].

ويَقولُ أبو محمَّدٍ المَقدسيُّ: (أكثرُ النَّاسِ اليومَ قد دخَلوا في دِينِ الحُكوماتِ ودِينِ الطَّواغيتِ مُختارِينَ بِلا إكراهٍ حقيقيٍّ، وإنَّما استِحبابًا للحَياةِ الدُّنيا ومَساكِنِها وأموالِها ومَتاعِها ومَناصِبِها على دينِ اللهِ، وبَذلوه وباعوه بأبْخسِ الأَثمانِ، فإيَّاك أن تَكونَ مِنهم فتُصبحَ مِن النَّادمينَ)[2].

وقدِ انعَكسَت هذه النَّظرةُ الحانِقَةُ على العوامِّ في السُّلوكِ العمليِّ للمُتطرِّفينَ، حيثُ سجَّل أبو مُصعَبٍ السُّوريُّ بعضَ الإشْكالاتِ والأَخطاءِ في عَملِ التَّيَّارِ الجِهاديِّ، فذَكرَ مِنها: (بُروزَ ظاهرةِ التَّنطُّعِ والتَّشدُّدِ في المَراحلِ الأخيرَةِ مِنَ التَّيَّارِ الجِهاديِّ بعدَ مُنتصَفِ التِّسعيناتِ، فقدْ أدَّتِ الظُّروفُ العامَّةُ مِنَ المُطارداتِ والقَهرِ والكَبتِ والظُّلمِ، وعِلَلِ الصَّحوةِ الإسلاميَّةِ، وبَلاءِ عُلماءِ السُّلطانِ، وطُغيانِ الحُكوماتِ، وغَزواتِ الأعداءِ الخارِجينَ، وَما يَجرِي في الأُمَّةِ مِن نَكباتٍ، مَع إعْراضِ أكثَرِها عَن دينِهِم؛ أدَّى إلى رُدودِ أفعالٍ طَبعتِ الكَثيرينَ مِن قواعدِ

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) ملة إبراهيم، ص ٦٠.

الجِهاديِّينَ بالعصابيَّةِ وحبِّ التَّشدُّد والتَّنطُّعِ، والتَّعبيرِ عنِ التَّديُّنِ بالتَّشدُّد، وعَن الالتِزامِ بالعُنفِ والتَّطرُّفِ في أبسَطِ الأحكامِ والمَسائلِ . وكُنتُ أرَى معَ بعضِ قُدماءِ الجِهاديِّين -بعدَ أن كَتبَ اللهُ لنا أن نَرَى بعضَ هذه النَّماذِجِ المُتأخِّرةِ- **أنَّ الفَجوةَ بينَ هذه النَّماذِجِ ومُجتمعاتِها الَّتي انسَلَخَتْ عَنها أصبَحَتْ مِنَ الهُوَّةِ بِحيثُ لا يَصلُحون إلَّا لِمُحاربَتِها، ولا يُمكنُ لَهم أن يَلتَقُوا معَ مُكوِّناتِ السَّوادِ الأَعظمِ مِن شُعوبِ بِلادِنا على شَيءٍ مِنَ القَواسِمِ المُشتركَةِ**[1].

ويَقولُ أيضًا: (سَمعْتُ مِن بعضِ المُجاهدينَ أثناءَ نِقاش هذه المَسألةِ النَّازلةِ[2] ما يُوحِي باستِهانَتِهم بِما يَقعُ مِن خسائرَ في صُفوفِ عَوامِّ المُسلمينَ، كَقولِهم: إنَّ أكثرَ هؤلاءِ المُصابينَ مِنَ المُسلمينَ مِن الفُسَّاقِ أوِ القاعِدينَ الَّذين لا يُجاهِدونَ، أو أنَّهم مِنَ المُبتدعَةِ الَّذينَ فَسَدتْ كَثيرٌ مِن عَقائدِهِم... إلى آخرِ ما قدْ يَصِحُّ أو لا يَصِحُّ مِنَ الأَوصافِ، ولكنَّ هذا الكَلامَ باطلٌ، فكونُ أنَّ الأصلَ فيهمُ الإسلامُ يَعصِمُهُم ويوجِبُ تَحاشِيَهُمْ، وَما قالَ أحدٌ مِمَّن يُعتَدُّ به مِن أهلِ الإسلامِ باستِباحةِ دِماءِ أمثالِ هؤلاءِ، فلا يَحِلُّ دمُ مُسلمٍ إلَّا بِما هوَ مَعلومٌ منَ الأحكامِ، ولكنِّي رأيتُ في بعضِ الحالاتِ أنَّ الحالةَ النَّفسيَّةَ الَّتي قد يَصلُ إليها بَعضُ

(١) دعوة المقاومة الاسلامية العالمية، ص ٨٥٥.

(٢) يقصد (مسألة تَتَرُّس الكفَّار بالمسلِمين).

المُجاهدينَ مِن ضُغوطِ أعداءِ اللهِ مِن جِهةٍ، وإعراضِ العامَّةِ عن نُصرةِ دينِ اللهِ مِن جهةٍ أُخرى، وما قد يَتلبَّسونَ به مِن الأَحوالِ الفاسدَةِ، سببٌ لدَى البَعضِ في الاستِهانةِ بِمَسألةِ التَّحاشِي الحَقيقيِّ، وَهذا خَطيرٌ وَلا يجوزُ) [1].

كما تَرَكتِ العَقليَّةُ المُتحجِّرةُ والنَّفسيَّةُ المُتشنِّجةُ أثَرَها على التَّواصُلِ معَ النُّخَبِ الإسلاميَّةِ وغَيرِها، وهذا ما أشارَ إليه أبو مُصعبٍ السُّوريُّ بِقَوله: (نَتيجةَ العَقليَّةِ الثَّوريَّةِ لِمُعظمِ الجِهاديِّينَ، وَطَبيعةِ الانفِعالِ ورُدودِ الأفعالِ على الحِصارِ؛ اتَّسمَتْ رُدودُ أفعالِ الجِهاديِّينَ على أوساطِ الصَّحوةِ وقياداتِها وَكِبارِ عُلماءِ المُسلمينَ في كَثيرٍ منَ الأَحوالِ بالتَّشنُّجِ والعُنفِ، وقدْ كان لِرُدودِ الأفعالِ هذه ما يُبرِّرُها في مُعظمِ الأَحوالِ تِجاهَ قادَةِ صَحوةٍ وعُلماءَ يُصفِّقونَ لِلكُفرِ الحَاكمِ ويَمتدِحونَه، ويُبرِّرونَ الاحتِلالَ وغَزواتِ الصَّليبيِّينَ بِدَعوَى الضَّرورةِ والاستِعانةِ، ويُجوِّزونَ التَّطبيعَ معَ اليَهودِ أو يَقِفونَ مِن ذلك مَوقفَ البَلادةِ والتَّفرُّجِ واللَّامُبالاةِ.

ولكنَّ واقعَ الحالِ -بِصرفِ النَّظرِ عَن تَبريرِه أو عَدمِ ذلك- فَقدْ كانَ واقعُ الحالِ هو عُزلةَ الجِهاديِّينَ في أَوْساطِ الصَّحوةِ، ولم يَستطِعْ قِياداتُ الجِهاديِّينَ إلَّا بَعضَهُم -وفي حالاتٍ نادرَةٍ-

(١) المصدر السابق (ص ١١٥٧).

الحِفاظَ على عَلاقاتٍ سياسيَّةٍ وطبيعيَّةٍ مع أوساطِ الصَّحوةِ، ودَخلتِ الأَدبيَّاتُ الجهاديَّةُ في ذلكَ العِقدِ القاتِمِ منَ الأَزماتِ (١٩٩٠-٢٠٠٠م) دخَلَت في مَعاركَ إعلاميَّةٍ ومُهاتَراتٍ معَ مُختلَفِ أوساطِ الصَّحوةِ وأَحزابِها ورِجالاتِها.

وقُل مِثلَ ذلك وأَشَدَّ منه عن أزمَةِ العلاقاتِ بينَ الجِهاديِّينَ وبَين أوساطِ المُعارضاتِ العَلمانيَّةِ الوَطنيَّةِ والقوميَّةِ واليَساريَّةِ في العالَمِ العَربيِّ الإسلاميِّ، فقدْ قامتْ علاقةُ الجِهاديِّينَ بأولئكَ على أساسِ قاعدَةِ التَّكفيرِ والعَداءِ، كما هو حالُ مُعظمِ أوساطِ الصَّحوةِ الإسلاميَّةِ معَ الوَسطِ العَلمانيِّ، ولا سيَّما في العالَمِ العربيِّ، ورغْمَ أنَّ مُعظمَ تلكَ القِطاعاتِ العَلمانيَّةِ وأَحزابَها ورِجالَها قد عانَتْ وما زالتْ تُعاني مِن قَمعِ الحُكوماتِ، وتَقعُ مَع الإسلاميِّينَ والجِهاديِّينَ في خَندقِ الاضْطِهادِ، وكانَ بالإمْكانِ أن يَكسِبَ الجِهاديُّونَ مِنهم بعضَ الشَّخصيَّاتِ المُعتدلَةِ تِجاهَ الظَّاهرةِ الدِّينيَّةِ، أو حتَّى جَرُّهُم لِمَيدانِ الحيادِ، إلَّا أنَّ التَّشنُّجَ مِن جهةٍ، والتَّوجُّسَ مِن جهةٍ، وعدمَ الثِّقةِ والعَداءَ التَّاريخيَّ مِن جهةٍ أُخرى، بالإضافَةِ إلى عَدمِ وُجودِ الكَوادرِ السَّياسيَّةِ المُؤهَّلةِ في قياداتِ التَّيَّارِ الجِهاديِّ لِإقامةِ مِثلِ ذلكَ الحِوارِ، وقيامِ قاعدَةِ التَّواصلِ لَدَى الجِهاديِّينَ على المُفاصلَةِ مُطلقًا دونَ اعتِبارٍ لِهَوامشِ فنِّ المُمكنِ.. وإنَّما على قاعدَةِ (حَملِ السُّلَّمِ بالعَرضِ) في سوقٍ ازدَحمَت فيهِ الجَماعاتُ

والشَّخصيَّاتُ والبَّرامجُ والمَناهجُ؛ كلُّ هذا أسفَرَ عن حَشدِ أكبَرِ كَمِّيَّةٍ منَ الأَعداءِ في مُواجهَةِ الظَّاهرةِ الجِهاديَّةِ)[1].

(١) دعوة المقاومة الاسلامية العالمية، ص ٨٠١.

رابعًا: الجَهلُ والغِلظةُ في أخْلاقِ المُتطرِّفينَ

مِن خِلال المَقاطعِ المَرئيَّةِ الَّتي يَبثُّها تَنظيمُ داعشَ لِبعضِ المُتطوِّعينَ في صُفوفِه، ظَهرَتْ مُستوياتٌ عاليةٌ منَ الجَهلِ والجَفاءِ والغِلظةِ.

ويجدر التَّنبيهُ إلى أنَّ هذه الأخلاقَ والصِّفاتِ ليسَتْ ظاهرَةً جَديدةً على صُفوفِ التَّيَّارِ المُتطرِّفِ، وليستْ مِمَّا تَفرَّد به داعشُ دونَ بَقيَّة التَّنظيماتِ الَّتي سَبقتْها.

فالجَهلُ الَّذي يُنتجُ الغِلظةَ والغُلوَّ والتَّنطُّعَ أو يُسهِمُ في تَعزيزِها وزيادَتِها، أمرٌ مَوجودٌ في التَّنظيماتِ المُتطرِّفَةِ كما نبَّه إلى ذلكَ غيرُ واحدٍ مِن أعيانِ هذا التَّيَّارِ.

يُعدِّدُ أبو مُصعَبٍ السُّوريُّ بَعضَ الأَخطاءِ المَوجودَةِ في التَّنظيماتِ الجِهاديَّةِ فيَذكرُ مِنها: (**ضَعف المادَّةِ التَّربويَّةِ في مَناهجِ التَّيَّارِ الجِهاديِّ**) ويَقولُ: (يُعتبَرُ مَجالُ التَّربيَةِ لِقَواعدِ التَّيَّارِ الجِهاديِّ مِن أكبَرِ المَجالاتِ الَّتي اعتَراها النَّقصُ وانْخِفاضُ المُستَوى، خُصوصًا بعدَ التِّسعيناتِ، ومُنذ ابتَدأتِ المُطارداتُ الأمنيَّةُ شُغِلَ القَومُ بِهُجومِ لِباسِ الخَوفِ والجُوعِ، ومَسَّتْهمُ البأساءُ والضَّرَّاءُ والنَّقصُ في الأموالِ والأنفُسِ، وتَقاذفَتْهُم المَهاجِرُ والمَلاذَاتُ في أقطارِ الأرضِ الأربعَةِ..

وعلى عَكسِ الجيلِ الأوَّلِ والثَّاني منَ الجِهاديِّينَ الَّذين تَمكَّنوا

قبلَ تلكَ المُواجهاتِ مِن تَحقيقٍ مُستوًى لا بأسَ به مِنَ التَّربيةِ لِكَوادرِهِم الأُولى ما بَينَ الأَعوامِ ١٩٦٥-١٩٨٥م تَقريبًا، لم تُسعِفِ الظُّروفُ الجِهاديِّينَ بعدَ ذلك مِن تَطبيقِ بَرامجَ تَربويَّةٍ شامِلَةٍ إلَّا في نِطاقٍ مَحدودٍ.

والمُلاحَظُ أيضًا أنَّ اعتِمادَ التَّيَّارِ الجِهاديِّ في التَّربيةِ لم يَكنْ على مَكتبةٍ ومَناهجَ مُعاصرةٍ وَضعوها وَفقَ احتياجاتِهِمُ الحاليَّةِ، وإنَّما على كُتبِ التُّراثِ، أو على بَعضِ كُتبِ مَدارِسِ الصَّحوةِ الأُخرَى، والَّتي لا تَخلو في كَثيرٍ منَ الأحوالِ ممَّا يَتناقضُ مَع المَنظورِ الجِهاديِّ لِكثيرٍ منَ المَسائلِ.

وَبعد ١٩٨٥م غَلَبَ على الأوساطِ الجِهاديَّةِ منَ المُعسكراتِ والتَّجمُّعاتِ وأَماكنِ النَّشاطِ مَناهِجُ تَربويَّةٌ ذاتُ بُعْدَيْنِ كما أسلَفْتُ: إمَّا عَسكريٌّ في حُدودِ الموادِّ العَسكريَّةِ والدَّوراتِ التَّدريبيَّةِ القِتاليَّةِ، وإمَّا بعضُ الموادِّ في مسائلِ الحاكميَّةِ والولاءِ والبَراءِ والعَقيدةِ وَالمَنهجِ السَّلفيِّ.

وقدْ لاحظْتُ خِلالَ الشَّوطِ الثَّاني لِلأفغانِ العَربِ في ظلِّ طالبانَ: أنَّ الجِيلَ الثَّالثَ مِنَ الجِهاديِّين بدأَ يُميِّزُه الجَهلُ والفاقةُ التَّربويَّةُ في أكثرِ شَرائحِه، وقدْ زَهِدَ بها كَثيرٌ منَ الجِهاديِّين في هذه المَرحلةِ ١٩٩٦-٢٠٠١م، رغْمَ تَوفُّرِ الإمْكانيَّةِ والمُعسكراتِ والمَلاذِ الآمنِ بلْ والمُرفَّهِ جدًّا في كَنفِ طالبانَ قياسًا بِمَلاذَاتِ الشَّتاتِ ومَرحلةِ المُطاردَةِ، إلَّا أنَّ مُعظمَ القَومِ

نَشِطوا في الموادِّ العَسكريَّةِ وأقبَلوا عليها، ولم يُعطوا الجَوانبَ التَّربويَّةَ الأُخرى الأَهمِّيَّةَ الَّتي تَستأهِلُها؛ ولذلكَ انعَكسَ هذا على تلكَ المَرحلةِ بِكثيرٍ منَ المَشاكلِ وَالأزماتِ الدَّاخليَّةِ الَّتي أعتقِدُ أنَّ مَرَدَّها لِانخفاضِ مُستوياتِ السُّلوكِ والأخلاقِ العامَّةِ.

وأدَّى إلى ذلِك تَدفُّقُ الكَثيرِ منَ الشَّبابِ مِن قطاعِ عوامِّ المُسلمينَ العاديِّينَ، المُعبَّئينَ بالعَواطفِ والحَماسِ والإخلاصِ معَ انخِفاضِ مُستوياتِ العِلمِ الشَّرعيِّ، والالتِزامِ الدِّينيِّ، وأُصولِ الأَخلاقِ والمُعاملاتِ الإسلاميَّةِ وحتَّى مُستوى العِباداتِ، وتَميَّزت كَثيرٌ منَ الأَوساطِ الجِهاديَّةِ بِمُستوًى ضَحلٍ جدًّا مِنَ المُواصفاتِ في هذه المَجالاتِ.

وانعَكستِ الضُّغوطُ النَّفسيَّةُ، وآثارُ المُطارداتِ الأمنيَّةِ، ومَشاكلُ الواقعِ العامِّ للعَربِ والمُسلمينَ عُمومًا، والمَشاكلُ الدَّاخليَّةُ في أوساطِ الصَّحوةِ الإسلاميَّةِ، ومُنابذةُ قياداتِها للجِهاديِّين، وانْغماسُ أكثرِهِم في رِكابِ عُلماءِ السَّلاطينِ وأَجهزَةِ الطَّواغيتِ.

أدَّى كلُّ ذلك إلى أن تَكونَ كثيرٌ مِن أوساطِ الجِهاديِّينَ -معَ غيابِ مَنهجِ التَّربيةِ- مُتميِّزةً بالقَسوةِ والجَفوةِ وقلَّةِ الرَّحمةِ، وغيابِ النَّماذجِ الَّتي طالما تَحدَّثت عنها كُتبُ الرَّقائقِ وقِصصُ السَّلفِ والخَلفِ منَ الصَّالحينَ في مَجالاتِ العبادةِ والنُّسكِ، وحُسنِ الخُلقِ ولِينِ الجَانبِ معَ المُسلمينَ وعُذرِهم ورَحمَتِهم والأَخذِ بِيدِهِم.

فقدْ كانتْ كَثيرٌ منَ الأَجواءِ مَشحونةً، وتَميَّزَ العَديدُ منَ الجِهاديِّين بِسُلوكٍ أقرَبَ إلى الحالةِ العصابيَّةِ منه إلى السُّلوكِ المُفترَضِ بالمُجاهدِ المُؤهَّلِ المتربّي عِلمًا وخُلقًا وعِبادةً وسُلوكًا.

وَكان هذا انعكاسًا لِضعفِ مَنهجِ التَّربيةِ مادةً وتَطبيقًا، وحَسبُنا اللهُ ونعمَ الوَكيلُ.

وهكذا كُنتُ ألاحِظُ أنَّ كثيرًا منَ الجِهاديِّين قدِ اختَصرَ الإسلامَ وعَقائدَه وشَعائرَه في فَريضةِ الجِهادِ، وظَنَّها كلَّ الدِّين. واختَصرَ الجِهادَ بأَحكامِه وآدابِه وسُلوكيَّاتِه ومُواصفاتِه الَّتي تَقتضِيها مَنزلةُ ذُروَةِ سَنامِ الإسْلامِ، اختَصَره بالقِتالِ. واختَصرَ القِتالَ بِما يَقضيه مِن صَبرٍ ومُصابرَةٍ وإعدادٍ وَأخلاقيَّاتٍ بِشهودِ المَعاركِ ذاتِها. وحتَّى أثناءَ شهودِ المَعاركِ كُنتَ تُلاحظُ قلَّةَ الصَّبرِ والمُصابرةِ وتَحمُّلِ الرِّباطِ الطَّويلِ. فَقدِ اختَصروا مَفهومَ القِتالِ عَلى إطلاقِ النَّارِ.

وكنتُ وكثيرٌ مِن قُدماءِ الإخوة نُلاحِظُ الأَجواءَ في الأوساطِ الجِهاديَّةِ قد بَدأتْ في أواخرِ القَرنِ العِشرينَ ومَطلعِ الحادي والعِشرينَ تُشيرُ إلى قُربِ امتِحانٍ وبَلاءٍ سيَنزلُ؛ لِيُعيدَ تلكَ النُّفوسَ الطيِّبةَ المُخلِصةَ إلى صَفائِها وحاجَتِها إلى ربِّها، وإلى أخلاقيَّاتِ دِينِها ومُكوِّناتِه التَّربويَّةِ. وَهذا ما جاء مَع أحداثِ سِبتمبرَ وتَداعياتِها مِن بَعدُ)[1].

(١) دعوة المقاومة، ص ٨٤٢ -٨٤٣.

ويَقولُ أيضًا مُعدِّدًا لبَعضِ سلبيَّاتِ الجَماعاتِ المُسلَّحةِ: (اقتِصارُ مَناهجِ التَّربيةِ والإعدادِ في الجَبهاتِ والمَيادينِ المَفتوحَةِ -مِثلِ أفغانِستانَ في المَرحلتَينِ- على بَرامجِ التَّدريبِ العَسكريِّ شِبهِ المَحض؛ حيثُ غابتْ بَرامجُ الإعدادِ العِلميِّ الشَّرعيِّ والتَّوجيهِ السِّياسيِّ والتَّأهيلِ الفِكريِّ والتَّربيةِ السُّلوكيَّةِ عن تلك المَناهجِ، رغمَ تَوفُّرِ الظُّروفِ منَ المَلاذِ والأمانِ والإمكانيَّاتِ المادِّيَّةِ، فقدِ اعتَمدَت الغالبيَّةُ (التَّربيةَ الانكشاريَّةَ) وثقافةَ المدافعِ عَلى الطَّريقةِ العُثمانيَّةِ، وساهمَت تلكَ الطَّريقةُ ومَن أشرفَ عليها بزِراعةِ الجَهلِ وتَخريجِ عيِّناتٍ لا تَنتَمي إلى التَّيَّارِ الجِهاديِّ الَّذي عَرَفناه قبلَ عقدَينِ منَ الزَّمنِ إلَّا بالعاطِفةِ والحَماسِ والإخْلاصِ الَّذي تَذهبُ تلكَ العِللُ بِمُعظمِ نَتائجِ فَضائلِه هذه)[1].

وممَّا كَتبَه أبو مُصعبٍ السُّوريِّ تَحتَ عُنوانِ (**غِيَاب أثرِ فِقهِ الواقعِ في المَنهجِ السِّياسيِّ الشَّرعيِّ لدَى كَثيرٍ منَ الجِهاديِّينَ**): (وقدْ سبَّب هذا في نَظري ضَعفُ الموادِّ التَّربويَّةِ والدِّراساتِ الَّتي تُعينُ على ذلكَ أوِ انعِدامُها، وبالتَّالي اختِلالُ المَوازينِ في تَحديدِ مَن مَعنا ومَن عَلينا، والخَلطُ بَين دَوائرِ الأَعداءِ والمُحايِدينَ والمُناصِرينَ، وحُقوقِهم، وطُرقِ التَّعاملِ مَعهُم.

فَفي خِلالِ العقدِ الأخيرِ منَ القَرنِ العِشرينَ تَعقَّدت مُعطَياتُ

(١) المصدر السابق ٨٥٤-٨٥٥.

الواقعِ بِكلِّ أبعادِه السِّياسيَّةِ والاقتِصاديَّةِ والاجتِماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ في العالَمِ العَربيِّ والإسلاميِّ، بلْ وفي العالَمِ أجمَعَ، وشَهِدت عُمومُ مَجالاتِ النَّشاطِ البَشريِّ في كلِّ تلكَ العَوالَمِ تَعقيدًا وتَطويرًا وتشعُّبًا هائلًا.. وتُعتبَرُ المُجتمعاتُ في العالَمِ العربيِّ والإسلاميِّ -وللأسفِ- مُجتمَعاتٍ مُتخلِّفةً عُمومًا عَن مواكبَةِ مُستوياتِ المَعرفةِ الحضاريَّةِ، إلى حُدودٍ مُؤسِفَةٍ.

وقدْ تَميَّزتِ الصَّحوةُ الإسلاميَّةُ عُمومًا -وهيَ ظاهِرَةٌ مُنبثِقَةٌ عَن ذلكَ الواقعِ- بالكَثيرِ مِن مُؤثِّراتِ ذلكَ التَّخلُّفِ العامِّ، وعدمِ إدراكِ العَصرِ الَّذي هيَ فيهِ.

وفي الوَقتِ الَّذي تَقدَّمت فيه الأَحزابُ والجَماعاتُ الإسلاميَّةُ مِن مَدرسةِ الصَّحوةِ السِّياسيَّةِ وكَثيرٌ مِن قياداتِها وكَوادِرِها بِحُكمِ الوعيِ والمُمارسةِ السِّياسيَّةِ، تَقدَّمت في مَجالاتِ المَعرفةِ وإدْراكِ الواقعِ؛ فإنَّ باقيَ مَدارسِ الصَّحوةِ الأُخرى الدَّعويَّةِ والإصلاحيَّةِ وما اصطُلِحَ عَليها بالسَّلفيَّةِ، وكَذلك المَدْرَسَة الجِهادِيَّة، تَميَّزت بانخِفاضِ مُستوى المَعرفةِ والوَعي الحَضاريِّ وإدراكِ الواقعِ، فأمَّا المَدارسُ اللَّاسياسيَّة فَلانعِزالِها عَن عَيشِ الواقعِ، وأمَّا التَّيَّارُ الجِهاديُّ فلأنَّ غالبِيَّتَه مِن قطاعِ الشَّبابِ الَّذين لَم يَأخُذوا -بِحُكمِ صِغرِ السِّنِّ في الغالبِ وبِحُكمِ الظُّروفِ الأمنيَّةِ الصَّعبةِ- لم يَأخُذوا حظَّهُم منَ المَعرفةِ الحضاريَّةِ وإدراكِ الواقعِ، إلَّا في حالاتٍ نادرَةٍ في بَعضِ الجَماعاتِ والكَوادرِ والشَّخصيَّاتِ.

وعلى اعتِبارِ أنَّ المَعركةَ اليَومَ أصبَحتْ تُدارُ ليس فَقطْ في المَجالِ العَسكريِّ والأَمنيِّ حيثُ يُمكنُ لِلجِهاديِّينَ والإسلاميِّينَ عُمومًا أنْ يُبْلُوا بَلاءً حسنًا، وإنَّما في مَجالاتِ السِّياسةِ والإعلامِ والاقتِصادِ، وحتَّى في عالَمِ المُواجهَةِ العَسكريَّةِ والأمنيَّةِ أصبَحَ للمُستوَى المَعرفيِّ والعِلميِّ في المُواجهةِ دورٌ كبيرٌ.

ولِذلك فإنَّ انخِفاضَ المُستوى العامِّ عندَ غالبيَّةِ الجِهاديِّين في فِقهِ الواقعِ بكُلِّ مُعطياتِه وأبعادِه انعكَسَ على مَناهجِهِم وأدبيَّاتِهم وإعلامِهم وفَحوَى خِطابِهم وأسلوبِه وطَريقةِ إيصالِه، ونَتجَ عَن هذا اختِلالٌ في مَوازينِ الأوْلَوِيَّاتِ وفَهمِ مُعطَيَاتِ الوَاقعِ، وخَلْطٌ بينَ دَوائرِ المُهمِّ والأهمِّ، وما تَقتضيهِ النُّصوصُ العامَّةُ، وَما يَضْطرُّ إليه الواقعُ، وكذلك حصَلَ خَلطٌ في تَصنيفِ شَرائحِ النَّاس : مَن مَعَنا ومَن عَلينا، واضطرابٌ في تَحديدِ أوْلويَّاتِ المَعركةِ.

ونظرًا لِهُزالِ البِنيةِ المُؤسَّساتيَّةِ في التيَّارِ الجِهاديِّ عُمومًا، وضيقِ مَجالاتِ الشُّورَى والاستِفادةِ منَ الكَوادرِ، وتَفضيلِ كَثيرٍ مِنَ الأُمراءِ لِلإمَّعاتِ؛ انضَمَّ هذا الجَهلُ لِذلك الخَلَلِ لِيُخلِّفَ نَتيجةً مَأْساويَّةً تَجلَّت في ضَعفِ مُستوى إدارَةِ المَعركةِ، وفَشلٍ في تَحديدِ سُبلِ المُواجهَةِ والمُواءمَةِ بَين مَجالاتِ المَنهجِ الفِكريِّ والعَملِ العَسكريِّ والسِّياسيِّ والإعلاميِّ.

وغابَ أثرُ الواقعِ في إصدارِ الأَحكامِ واتِّخاذِ القَراراتِ

السِّياسيَّةِ والعَسكريَّةِ والمَصيريَّةِ، ومَعلومٌ أنَّ صحَّةَ الفَتوى تَعتمِدُ على مُرتكَزَينِ لازِمَينِ معًا وَهما: مَعرفةُ الشَّرعِ، وفَهمُ الواقعِ. وعلى افتِراضِ وُجودِ الفَهمِ الشَّرعيِّ الصَّحيحِ في كثيرٍ منَ الحالاتِ، فَقد أدَّى غيابُ فَهمِ الواقعِ إلى قَراراتٍ أقربَ لِلعَرجِ مِن وَصفِها باستِقامةِ المَسارِ)[1].

وذَكرَ أبو مُصعَبٍ السُّوريُّ أيضًا مِن جُملةِ أخطاءِ الجَماعاتِ المُسلَّحةِ:

- (افتِقارُ التَّيَّارِ الجِهاديِّ لِعُلماءَ يَقودونَ مَسيرتَه، فيَسُدُّون ثَغرةَ التَّربيةِ والفَتوى والكِتابةِ والتَّوجيهِ، ويَكُونُونَ رُموزًا شَعبيَّةً تَحشدُ العامَّةَ؛ ممَّا ساعدَ على ظُهورِ ظاهرَةِ (المُفتي الشَّابِّ) ممَّا اصطَلحوا عليه بالاسْمِ الفَضفاضِ: (أَخٌ عِندَه عِلمٌ).

- انخِفاضُ مُستوَى العِلمِ الشَّرعيِّ عُمومًا في التَّيَّارِ الجِهاديِّ وعَلى كافَّةِ المُستوياتِ، حتَّى وُلِدت تَجمُّعاتٌ جِهاديَّةٌ لِتَعملَ في بعضِ البُلدانِ في المَراحلِ المُتأخِّرةِ على أيْدي كَوادرَ شَبابيَّةٍ تَتَّصفُ بِمُستوياتٍ بالغةِ التَّواضعِ في هذا المَجالِ الأساسيِّ بالنِّسبةِ لِتيَّارٍ جِهاديٍّ أُصوليٍّ إسلاميٍّ.

- انخِفاضُ مُستوياتِ التَّربيةِ العِباديَّةِ والسُّلوكيَّةِ والأخلاقيَّةِ في كَثيرٍ منَ المُتأخِّرينَ مِمَّن لَحِقوا بالجِهادِ مِنَ الشَّبابِ، وبِسببِ

(١) دعوة المقاومة، ص ٨٤٤-٨٤٥.

انعِدام وُجودِ بَرامجَ للتَّربيةِ ظَهرتْ ظَواهرُ مُؤسِفَةٌ في بَعضِ التَّجمُّعاتِ الجِهاديَّةِ، وكان يُمكنُ أن يُلاحِظَ الفارقَ الهائلَ مَن عاش جِيلَ الجِهادِ الأوَّلِ وكَتَبَ اللهُ أن يَرَى تلك النَّوعِيَّاتِ مِن مُتأخِّري الجِهاديِّينَ.

- تَفشِّي الجهلِ عامَّةً في مُختلَفِ مُستوياتِ المَعرفةِ، فَضلًا عنِ الجَهلِ البَشريِّ، وانخِفاضِ مُستوياتِ التَّربيةِ السُّلوكيَّةِ، فَقد طَبَع كثيرٌ منَ اللَّاحقينَ بالتَّجمُّعاتِ الجِهاديَّةِ حالةً مِنَ السَّطحيَّةِ والجَهلِ بالواقعِ السِّياسيِّ والأمنيِّ والعِلميِّ... ومُعظمِ مَناحِي مُستجدَّاتِ الواقعِ، بل إنَّ المُستوياتِ المُتواضعةَ أو حتَّى السَّيِّئة الَّتي مَيَّزت العَديدَ مِن عوامِّ مَن لَحِقَ بالجِهادِ مِن الشَّبابِ.. تَجاوزتْ لِتكونَ حالةَ بعضِ مَن تصدَّى للقيادَةِ والإدارَةِ في بَعضِ التَّجمُّعاتِ الجِهاديَّةِ النَّاشئةِ أواخِرَ القرنِ العِشرينَ.

- تَفشِّي رُوحِ الإمَّعةِ، وانخِفاضُ مُستوياتِ الإبداعِ، وظُهورُ ظاهرَةِ الإدارَةِ النُّخبَوِيَّةِ النَّشِطَةِ في كلِّ تَجمُّعٍ، وتَحوُّلُ الباقينَ لأتباعٍ تَفصِلُهم فَجوةٌ كَبيرةٌ -مِن حيثُ الإمكانيَّاتُ والتَّأهيلُ- عنِ النُّخبةِ المَحدودَةِ بالدَّائرةِ الأُولَى في بَعضِ التَّجمُّعاتِ الجِهاديَّةِ)[1].

ويَقول أيضًا:

(لَقد لاحظْتُ مِن طُولِ احتِكاكِي بالمُجاهدينَ وصُحبَتي

(١) دعوة المقاومة، ص ٨٥٤-٨٥٥.

وعُضوِيَّتِي في التَّيَّارِ الجِهاديِّ: أنَّه غَلبَ على المُتأخِّرين مِنهُم، ولاسيَّما في تَجارِبِ الحَشدِ الرُّكاميِّ كَما حَصَل في ساحاتِ الجِهادِ المَفتوحَةِ كأفغانِستانَ وغَيرِها، حيثُ لم تُعِر قياداتُها -وللأسَفِ- أهمِّيَّةً لِلتَّربيةِ العَقَدِيَّةِ الشَّاملةِ ولا الجِهاديَّةِ كما أَشرتُ.

لقدْ سيْطَر على أكثَرِ المُجاهدينَ الشَّبابِ شُعورٌ بأنَّ القِتالَ هوَ الجِهادُ، وأنَّ الجِهادَ هوَ الإسلامُ! وأوْرَثَهمُ الإحساسُ بأنَّهُم يُمارِسونَ شَعيرةَ ذُروةِ سَنامِ الإسلامِ بأنَّهُم في غِنًى عَن باقي ذلكَ الجَسدِ الكاملِ المُتكاملِ.

لا جِهادَ كما أمَرَ اللهُ تَعالى بلا عَقيدةٍ جِهاديَّةٍ قِتاليَّةٍ، ولا عَقيدةَ جِهاديَّةَ قِتاليَّةَ صَحيحَةٌ سَليمةٌ ما لم تُبْنَ على أُسسِ العَقيدةِ الإسلاميَّةِ الشَّاملةِ الكاملَةِ بِطَريقةٍ تَربويَّةٍ شاملَةٍ كاملَةٍ صَحيحةٍ.

وَهذا ما غابَ عَن كثيرٍ منَ المُكوِّناتِ التَّنظيميَّةِ للتَّيَّارِ الجِهاديِّ، ولا سيَّما في أَشواطِه الأَخيرةِ.

والآنَ وقدْ مَضى مُعظمُ الرَّعيلِ الأوَّلِ منَ الجِهاديِّين، فإنَّنا بأَمَسِّ الحاجةِ إلى إعادَةِ البِناءِ الجِهاديِّ في المَرحلةِ المُقبلةِ على أُسسٍ سَليمةٍ: وهوَ بناءُ العَقيدةِ الإسلاميَّةِ بِشُمولِها وكَمالِها في النُّفوسِ وجَعلِها راسخَةً قويَّةً، وبناءُ العَقيدةِ الجِهاديَّةِ القِتاليَّةِ كَفرعٍ مِنها عليها، وإلَّا فإنَّها واللهِ الكوارثُ ما لَم تَتَدارَكْنا رَحمةُ اللهِ.

إنَّ غيابَ العَقيدةِ الجِهاديَّةِ القِتاليَّةِ عَنِ الأُمَّة سيجْعَلُها قاعدةً خائرةً غُثاءً، قَصعةً تَتناهَبُها الذِّئابُ الضَّواري والكِلابُ العَوادي مِن هنا وهناك بَعدَ أن تَداعتِ الأُمَمُ إلى قَصعَتِها؛ لأنَّ سَوادَها الأَعظمَ -حُكَّامًا ومَحكومينَ عُلماءَ وجُهلاءَ- صاروا غُثاءً كَغُثاءِ السَّيلِ، قد ضَرَبَهم الوَهنُ (حبُّ الدُّنيا وكَراهيَةُ المَوتِ)، ولَن تَحيا هذه الأُمَّةُ وتُقاوِمُ إلَّا بِعَقيدةٍ جِهاديَّةٍ قِتاليَّةٍ يَحمِلُها العُلماءُ والدُّعاةُ والمَشايخُ والكُتَّابُ والأُدباءُ والمُفكِّرونَ والمُثقَّفونَ المُسلمونَ، ويَزرَعُونها في هَذه الأُمَّةِ التَّوَّاقَةِ للنُّهوضِ؛ لِيَقودَ هؤلاءِ النُّخبةُ مَسيرةَ الشَّباب على عِلمٍ وبَصيرةٍ وبِقُدوةٍ حَسنةٍ.

وإنَّ وُجودَ مُقاومةٍ ومُمارَساتٍ جِهاديَّةٍ -أو بالأحرَى ثَقافةٍ قِتاليَّةٍ عَسكريَّةٍ- وعَواطفَ وَرُدودِ أفعالٍ نَتيجةَ الكَرامةِ والشَّرَفِ والنَّخوَةِ والحَماسِ لَدَى شَبابِ الأُمَّةِ؛ إنَّ وُجودَ ثَقافةٍ ومَبادِئَ قِتاليَّةٍ جِهاديَّةٍ لم تُبْنَ على أُسسٍ صَحيحةٍ مِن شُمولِ العَقيدةِ والدِّينِ وتَمامِه، في ظِلِّ ظُروفِ القَهرِ والاحتِلالِ؛ لَيُنذِرُ بِكارثةٍ أشدَّ مِن كَوارثِ القُعودِ عَن الجِهادِ أحيانًا.

إنَّ وُجودَ السِّلاحِ في أَيْدي مُقاتلينَ يَضرِبونَ العَدوَّ، ويَرتكِبونَ في مَسارِهِم أفظَعَ المَصائبِ نَتيجةَ الجَهلِ بالعَقيدةِ وغِيابِ التَّربيةِ المُتكاملَةِ؛ مِنَ المُمكنِ أن يَعودَ بالضَّررِ عَلى الأُمَّةِ والجِهادِ والمُقاومةِ وكُلِّ ما نَصبُو إليهِ.

وقدْ تَسيرُ الأمورُ إلى الهَرجِ والفِتَنِ واختِلاطِ الحابلِ والنَّابلِ، وقد يُسبِّب حُصولَ الخِياناتِ والتَّراجُعاتِ، والضَّربَ غيرَ الواعي عَلى غيرِ بَيانٍ، وقدْ أمرَ اللهُ تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا).

إنَّ الظُّروفَ صَعبةٌ؛ فَالعَدوُّ يَقِظٌ، والصَّفُّ الإسلاميُّ مَنخورٌ، وعُملاءُ العدوِّ في كلِّ قطاعٍ مِن حُكَّامٍ و عُلماءَ ومُثقَّفِينَ، وأصحابُ الأغراضِ كُثْر، أكثرُ مِن أن يُشارَ إليهم، وَإذا دبَّتِ الفَوضَى فَستقومُ الثَّاراتُ، وتَقعُ رُدودُ الأفعالِ، ويَتعصَّبُ النَّاسُ، ويَجْرُونَ وراءَ كلِّ ناعقٍ، ولنْ تَستقيمَ مع ذلكَ مُقاوَمةٌ ولا جهادٌ.

فَلا قتالَ بِلا عَقيدةٍ جِهاديَّةٍ صَحيحةٍ بُنيَت على أُسسٍ مَتينةٍ مِن عَقيدةٍ إسلاميَّةٍ شاملَةٍ تُثبِّتُ اليَقينَ، وتَضبِطُ الأَحكامَ، وتَحفظُ الأَخلاقَ أخلاقَ القِتالِ وأحكامَه وآدابَه وشَرائعَه معَ العدوِّ والصَّديقِ، إنَّه دينٌ كاملٌ، فإمَّا جهادٌ على أُسسِ دينٍ، وإمَّا قتالُ هَرجٍ ومَلاحِم وَفِتَن أعاذَنا اللهُ منها)[1].

(١) دعوة المقاومة الإسلامية، ص ٩١٥-٩١٧.

خامسًا: التَّحريضُ على الأَنظمةِ السُّنِّيَّةِ والدُّخولُ في أجندَةِ خُصومِها

اشتَهَر على ألسِنةِ أعضاءِ تَنظيمِ داعشَ التَّهديدُ والوَعيدُ للدَّولةِ السُّعوديَّةِ، وفي الوَقتِ نفسِه باتَ مِنَ المَعلومِ عندَ الفَصائلِ الشَّاميَّةِ أنَّ تَنظيمَ داعشَ يَتعامَلُ ويُنسِّقُ ويَتعاوَنُ- في بَعضِ الأحيانِ- معَ النِّظامِ العَلويِّ، فالمَصالِحُ والأجنْداتُ المُشتركَةُ للطَّرَفينِ تَفرِضُ هذا التَّعاونَ.

وَهذه المُفارقةُ أوِ التَّناقُضُ في سياسةِ المُتطرِّفينَ هوَ نتيجةٌ طَبيعيَّة لِمُعتقَدِهم، إذ لا يُمكنُ الجَمعُ بينَ عَداءِ الدُّوَلِ والجَماعاتِ السُّنِّيَّةِ مِن جهةٍ، وبَينَ مُقاوَمَةِ إيرانَ ومُحاربَتِها مِن جهةٍ أُخرى، فكان لِزامًا على المُتطرِّف الَّذي أصابَتْه عُقدةٌ مِنَ النِّظامِ السُّعوديِّ أنْ يَدخلَ في فَلكِ السِّياسةِ الإيرانيَّةِ ويَدورُ فيه بَشكلٍ تِلقائيٍّ[1].

إنَّ ملفَّ التَّعاملاتِ بينَ المُتشدِّدينَ والنِّظامِ الإيرانيِّ وحُلفائه يَحفِلُ بكَثيرٍ مِن الوَقائعِ والشَّواهدِ، وما قامتْ به داعشُ في سُوريا أمرٌ مَألوفٌ عندَ جَماعةِ القاعدَةِ على مَدارِ سَنواتٍ طويلةٍ.

وَهذه العَلاقاتُ- الَّتي يَجدُ البعضُ صعوبةً في الاقتِناعِ بِوُجودها- هوَ نتاجٌ طبيعيٌّ ومُحصلةٌ مَنطقيَّةٌ لأَمرَينِ:

(١) وقد صدَر حديثًا كتاب بعنوان (الجماعات المتطرِّفة وإيران: علاقات متجددة، أجندات متعايشة) يُسلِّط الضوءَ على تاريخ التعاملات بين إيران والجماعات المتطرِّفة، وبيان مدَى التناغُم بين الأجندتَينِ المتنافرتَينِ في الظاهر المتعايشتَينِ في الواقع.

١- تَنظيماتٌ مُتشدِّدةٌ لَها طُموحٌ كبيرٌ، لكنَّها تَرفضُ التَّواصلَ والتَّعاملَ مع كافَّةِ قِطاعاتِ المُجتمعِ السُّنِّيِّ (حُكوماتٍ، مجتمعاتٍ، حركاتٍ إسلاميَّةٍ، تنظيماتٍ جهاديَّةٍ)، فهيَ مُنغلِقَةٌ على ذاتِها، لا تَعترِفُ بِغَيرِها، ولا تُؤمنُ بِتكامُلِ الجُهودِ وتَشارُكِ الخِبراتِ وحَشدِ الطَّاقاتِ في سَبيلِ غايةٍ واضحةٍ.

٢- نظامٌ إيرانيٌّ له أطماعٌ باحتِلالِ الدُّوَلِ السُّنِّيَّةِ، وتَسخيرِ كلِّ إمكاناتِه في سبيلِ ذلكَ، دونَ تحرُّجٍ أو تحفُّظٍ مِن أيِّ وسيلةٍ تُوصِلُه إلى غايَتِه.

فلُجوءُ الجَماعاتِ المُتشدِّدةِ إلى إيرانَ أمرٌ لا بدَّ منه[1]، وأيُّ مَكسبٍ مادِّيٍّ تُحقِّقُه هذه المَجموعاتُ لا يُمكنُ دون بالاستعانةِ (بِدولةٍ كافرَةٍ أو نظامٍ طاغوتيٍّ) كَما يَحلو لَهم تَسميتُه.

فَفي مَرحلةِ التِّسعيناتِ لَجَئُوا إلى النِّظامِ السُّودانيِّ بِزعامةِ عُمَر البَشِير وحَسَن التُّرابيِّ، المُتحالفِ آنذاك معَ النِّظامِ الإيرانيِّ.

وَبعدَ عَودَتِهم إلى أَفغانِستانَ عام ١٩٩٦م تَواصلوا مَع

(١) ونظيرُ هذا ما حكاه ابنُ تيميَّة عن الشِّيعة الإمامية الذين يَرفضون الدُّخولَ في طاعة الحُكم السُّني، ويمتنعون عن القتال والجهاد إلَّا تحت راية الإمام المعصوم المنتظَر؛ ولذلك يَلجؤون إلى الدُّخول في طاعة الكفَّار والاستعانة بالحكومات الأجنبية المحتلَّة، كما حصَل بعد اجتياح المغول للعالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، وكذلك ما كان مِن شأن غُلاة الشِّيعة الباطنية في سواحل الشام إبَّانَ الحروب الصليبيَّة في القرن الخامس الهجري، وقد تَكرَّر هذا الأمرُ في زماننا بعد الاجتياحِ الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ).

الإيرانيِّينَ مِن أجلِ تَأمينِ مَسارٍ لِعبورِ المُتطوِّعينَ إلى أفغانِستانَ، ولم يَلتَزِموا بِطاعةِ الحُكومةِ الإسلاميَّةِ بِقيادةِ طالبانَ، ونَفَّذوا عَمليَّةَ ١١ أيلول عام ٢٠٠١م، وأعقبَ ذلكَ سُقوطُ الإمارةِ الطَّالبانيَّةِ.

بَعد ذلك لَجَئُوا إلى إيرانَ، وكان مِن أشهَرِ مَن دخَلَ إلى إيرانَ أبو مُصعبٍ الزَّرقاويُّ الَّتي رَفضَتْ تَسليمَه لِلحُكومةِ الأُرْدُنِّيَّةِ.

وفي العِراقِ ما كان مَشروعُ القاعدَةِ لِيَستمرَّ لولا الاعتِمادُ على الدَّعمِ الَّذي يُقدِّمُه النِّظامُ السُّوريُّ العَلويُّ في السَّماحِ لِلمُقاتِلينَ بِالعُبورِ إلى العِراقِ، فسياسةُ غضِّ الطَّرْفِ وتَقديمِ التَّسهيلاتِ للمُتطوِّعينَ الأجانبِ جَليَّةٌ واضحَةٌ لا تَحتاجُ إلى وَثائقَ استِخباريَّةٍ أو تَحليلاتٍ مُعمَّقةٍ لِإثباتِها.

وأخيرًا: فإنَّ الدَّورَ التَّخريبيَّ واضحٌ في سياساتِ جَماعاتِ التَّطرُّفِ الَّتي دَخلَت إلى السَّاحةِ السُّوريَّة، وهيَ بذلك تُنجزُ للنِّظامِ العَلويِّ وإيرانَ ما عَجزت عَنه المِليشياتُ الشِّيعيَّةُ.

والحاصلُ ممَّا سبقَ: أنَّه في كلِّ المَراحلِ السَّابقةِ كانتْ سياسةُ تَنظيمِ القاعدَةِ مُطابقةً لِما تَقومُ به داعشُ الآنَ، فهيَ تُهدِّد الدُّولَ السُّنِّيَّةَ، وتَسعى لإيجادِ مَوطِئِ قدَمٍ وزَعزعةِ الأمنِ فيها، وَفي الوَقتِ نفسِه تُؤدِّي دَورًا إسناديًّا (مُباشرًا أو غيرَ مباشرٍ) للمَشروعِ الشِّيعيِّ الإيرانيِّ.

وحينَما يَتفاخَرُ الغُلاةُ بِعَقيدتِهِم في الكُفرِ بالطَّاغوتِ، إنَّما يَستغفِلون الجَهلةَ ويَلبِسونَ علَيهم، لا سيِّما مَع إدراكِ العُقلاءِ لِحَقيقةِ تَورُّطِهم في التَّعاونِ والتَّعاملِ مع أنْظمةٍ أبعَدَ عنِ الإسلامِ مِنَ الأنظِمةِ الَّتي يُكفِّرونَها.

وقد شَهدتْ أحداثُ الأزمةِ السُّوريَّةِ منذُ دُخولِ الغُلاةِ إلى أرضِ الشَّامِ بأنَّ للنِّظامِ التُّركيِّ دورًا كبيرًا في تَسهيلِ دُخولِ المُتطوِّعينَ وعَدمِ التَّعرُّضِ لَهم، والأمرُ لا يَقتصرُ على الأَتراكِ، وإنَّما نَوَّهنا لدَورِهم لوُضوحِه ومُشابهَتِه لِسياسةِ النِّظامِ السُّوريِّ معَ تَنظيمِ القاعدَةِ في العِراقِ مُنذ عام ٢٠٠٤م وحتَّى قِيَامِ الثَّورةِ عام ٢٠١١م، وربَّما بعدَ ذلك.

فالنِّظامُ السُّودانيُّ، والإيرانيُّ، والسُّوريُّ، والتُّركيُّ ليس بأفضلَ مِنَ النِّظامِ السُّعوديِّ، ولا يَقولُ ذلك مَن يَملِكُ عَقلًا ودينًا، وكلُّ هذه الأنظِمةِ تَعاملَت مَعها القاعدَةُ بِنِسَبٍ مُتفاوتةٍ ودَرجاتٍ مُتباينةٍ، بينَما التَزمتِ التَّحريضَ ضدَّ الدَّولةِ السُّعوديَّةِ والجِهازِ الدِّينيِّ فيها، وجنَّدتِ الشَّبابَ وقامتْ بالتَّفجيراتِ وتَسبَّبت بِمَفاسدَ كبيرةٍ لَحِقتْ بالدَّعوةِ والنَّشاطِ الإسلاميِّ داخلَ المَملكةِ وخارِجَها، وهذا بِحدِّ ذاتِه أكبرُ مَكسبٍ لإيرانَ في إطارِ سَعيِها لِلهَيْمنَةِ على العالَمِ الإسلاميِّ السُّنِّيِّ.

سادسًا: إفشالُ التَّجارِبِ الجِهاديَّةِ

يتَّفقُ السُّوريُّون – وحتَّى الغُلاة مِنهم – على أنَّ تَنظيمَ داعشَ نَفَّذ انقِلابًا ضدَّ الثَّورةِ، وحقَّق مَكاسبَ لِأعداءِ العَربِ السُّنَّةِ لم يَكونوا يَحلُمون بها.

وما قامَ به داعشُ هوَ نظيرُ ما قامتْ به القاعدَةُ في أفغانِستانَ والعِراقِ، وهوَ يُشبه المُحاولةَ الَّتي قامت بها بَعضُ الفَصائلِ التَّكفيريَّةِ في قِطاعِ غزَّةَ عام ٢٠٠٩م، وقدْ صدرَ مِنَ الجَيشِ الإسلاميِّ في العِراقِ بيانًا حولَ هذه الحَادثةِ مِن الجيِّد أن نَقتطِفَ منه ما يلي:

(كانَ مِنَ الأخطاءِ الواضحةِ ما أعلنَتْه جماعةُ أنصارِ اللهِ في غزَّةَ ما أسْمَوْه: الإمارَة الإسلاميَّة في أكنافِ بيتِ المَقدسِ، ثمَّ ما الَّذي حصَلَ بعدَ ذلكَ؟ لم تَدُم هذه الإمارةُ أكثرَ مِن عَشرِ ساعاتٍ، كان نَتيجَتُها مَقتلَ وجَرحَ العشراتِ مِن شبابِ القِطاعِ، لم يَبذُلْ عَدوُّهم مِن بَني صِهْيَوْنَ أيَّ جُهدٍ للخَلاصِ مِنهُم، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون.

ولا نَدري كيفَ يُفكِّر هؤلاءِ الإخوةُ؟ وأيُّ مَنهجٍ يَنتهِجون؟ ألا يَكفي أهلَ القِطاع ما أصابَهُم ويُصيبُهُم مِن تَكالُب العدُوِّ والصَّديقِ عليهِم بالقَتلِ والتَّشريدِ والحِصارِ والتَّجويعِ مِمَّا لا يَخفى على أحَدٍ؟ إنَّ النَّاس يَنتظِرون مَن يُساندُهُم ويَسُدُّ عَنهم شيئًا مِنَ الخَلَّةِ، لا مَن يَخرُج على قيادَتِهم الشَّرعيَّةِ فتُهدَرُ مِن

دماءِ المُسلمينَ أنهارٌ جَديدةٌ!

وإنَّ الفَوضى، والارتجاليَّةَ، والعَشوائيَّةَ، والقَفزَ على المَراحلِ- كما يَحدُث في بعضِ مَواطنِ الجِهادِ- لن تَصنعَ شيئًا في مُقاومةِ الصَّهاينَةِ في فِلَسطِينَ، إلَّا القَضاءَ على مَشروعِ التَّحريرِ الفِلَسطينيِّ، ثمَّ البُكاءَ عليه)[1].

وأمَّا أفغانِستانُ فيَكفي القولُ: إنَّ الإمارةَ الإسلاميَّةَ بِقيادةِ طالبانَ سَقطتْ بعدَ الغَزوِ الأمريكيِّ الَّذي كان لِلقاعدةِ سببٌ مُباشرٌ فيه[2].

يقولُ «الدُّكتورُ فَضلٌ» مُؤلِّفُ كِتاب (العُمْدَة في إعْدَادِ العُدَّةِ): (هلِ العقليَّةُ الَّتي أضاعتْ دولةً إسلاميَّةً كانت قائمَةً بالفِعلِ في أفغانِستانَ (طالبانَ)، هل يُنتَظَرُ مِن هذه العَقليَّةِ أن تُقيمَ دولةً إسلاميَّةً في العِراقِ على أرضِ الواقعِ لا عَلى الإنترنت؟)[3].

وأمَّا العِراقُ فهوَ نُسخةٌ مُماثِلةٌ إلى حدٍّ بَعيدٍ للحالِ السُّوريِّ، ومِن المُؤسِف أنَّ التَّجربةَ العِراقيَّةَ لم تُقرأْ جيِّدًا، وشابَتْها كثيرٌ منَ الأوهامِ والشُّبهاتِ الَّتي تَحوَّلت إلى حَقائقَ في الرَّأيِ العامِّ

(١) مقال بعنوان (كلمة في فتنة غزة) بقلم منقذ جبر، عضو المكتب السياسي في الجيش الإسلامي بتاريخ (٢٩ آب ٢٠٠٩م).

(٢) وسيأتي الحديث مُطوَّلاً عن هذا الملف.

(٣) من كتاب (مذكرة التعرية لكتاب التبرئة) الحلقة السابعة (نشر صحيفة الشرق الأوسط الاثنين ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٨م) عدد (١٠٩٥٤).

الإسلاميِّ، فتَجِدُ أنَّ المُتحمِّسين للقَضيَّةِ العِراقيَّةِ في الخارجِ يَحمِلون تَصوُّراتٍ غيرَ مُطابقةٍ أو مُقاربةٍ للواقعِ، وإنَّما هيَ رِواياتٌ لأصحابِ أهواءٍ أو أغراضٍ شخصيَّةٍ وحِزبيَّة.

وكان عَلى أهلِ العِراقِ أن يُبيِّنوا للنَّاسِ حَقيقةَ ما جَرَى في العِراقِ على يدِ القاعدَةِ منذُ عام ٢٠٠٤م، وأنْ يُحذِّروا الشَّاميِّينَ مِن مَغبَّةِ تَكرارِ المأساة[١]، لكنْ في الوقتِ نفسِه فإنَّ تَتابُعَ الأحداثِ وتَسارُعَها لم يَكُنْ لِيَسمَحَ بِتَدارُكِ الوَضعِ قبلَ انفِراطِ الأمرِ وتحَوُّلِه إلى فَوضَى جاذبةٍ للمُتطرِّفينَ. يُضاف إلى ذلك أنَّ أعداءَ الثَّورةِ لَجَئُوا إلى سِلاحِ المُتطرِّفينَ لإفشالِ الثَّورةِ مِن الدَّاخلِ، بعدَ أن عَجَزُوا عن القَضاءِ عليها عَسكريًّا، وسِيرَةُ تَنظيمِ داعشَ في سُوريا تُؤكِّد أنَّه دخلَ كقوَّةِ إنقاذٍ وإسنادٍ للنِّظامِ العَلويِّ والمِليشياتِ الشِّيعيَّةِ.

فطريقةُ التَّفكيرِ والتَّعاملِ معَ الأحداثِ الَّتي ظَهرتْ منَ القاعدَةِ في العراقِ في مُختلفِ المَراحلِ، هي الطَّريقةُ نفسُها الَّتي ظهَرتْ في سُوريا على يدِ داعشَ، فالثَّانيةُ امتِدادٌ للأُولى وتكميلٌ لها، أي أنَّ داعشَ واصَلَ ما كان يَقومُ به في العِراقِ قبلَ سَنواتٍ، وعليه لا مَعنى للإنكارِ على سياسَةِ داعشَ ونَقدِها دونَ انتِقادِ الأصلِ الَّذي أخرَجَها.

(١) صدر كتاب عن مركز الدين والسياسة في الرياض بعنوان (الجهاد في سوريا: حتى لا تَتكرَّر مأساةُ العراق مع القاعدة) عام ٢٠١٤م.

يذكُرُ أحدُ قادةِ حركةِ أحرارِ الشامِ الإسلاميَّةِ أنَّ داعشَ حينَما دخلتْ سُوريَةَ عاتَبوا جبهَةَ النُّصرةِ لِتأخُّرِها بالانقِلابِ على الفَصائلِ، فقال: (عِندما يَأتِي جِهادِيُّو العراقِ إلى الشَّام، وبَدَلَ أن يَستفِيدُوا مِن أخطائِهِم في العِراقِ، صاروا يَقولونَ لِجبهَةِ النُّصرةِ في الشَّامِ -بعد أن حقَّقتِ النُّصرةُ كتَنظيمٍ جِهاديٍّ تقدُّمًا يُحسَبُ لها في عَلاقتِها مع عَوامِّ المُسلمينَ ومَع بقيَّةِ الفَصائلِ المُجاهدةِ-، فصارتْ جماعةُ العِراقِ يَقُولون لَهُم: هذه عِراقُ ٢٠٠٤م، ولا تُتعِبوا أنفُسَكم، فجَميعُ هذه الفَصائلِ ستَصيرُ صَحواتٍ وتُقاتلُكُم في المُستقبلِ، وسنَنْزِلُ حينَها تحتَ الأرضِ، ولا حلَّ لهم إلَّا بالمفخَّخاتِ والكَواتِم)[1].

وحينَما تتَّهِمُ داعشُ الفصائلَ السُّوريَّةَ بالانحِرافِ والرِّدَّةِ إنَّما تُكرِّر بذلك مَقالةَ القاعدَةِ في العِراقِ قبلَ أعوامٍ، حينَما اتَّهمتِ الفَصائلَ العراقيَّةَ بالخيانةِ، ولم يُنكِرْ عليها أحدٌ مِن قادةِ القاعدَةِ، وعليه فالقاعدَةُ في بلادِ الشَّامِ (جبهةُ النُّصرةِ) تَذوقُ مِنَ الكَأسِ الَّذي تَجرَّعه العِراقيُّون على يدِ حُلفائِها وأنصارِها، لقد دارتِ الدَّائرةُ عليهم، ونزَلَ القَتلُ بِهم، وأصابَهُم مِنَ الظُّلم مِثلُ ما أصابَ العراقيِّين السُّنَّة.

وكلُّ مَن سَكَت على جَرائمِ القاعدةِ في العراقِ ولم يُبيِّنْها

(١) من رسالة بعنوان (أليس منكم رجل رشيد؟) لأبي أيمن الحموي، أحد قادة حركة أحرار الشام الذين قَضَوْا في تفجير في ريف إدلب يوم (٩ / ٩ / ٢٠١٤م).

للنَّاسِ أصابَه ظلمٌ وبَغيٌ منَ القاعدةِ.

وهذا حالُ جيشِ المُجاهدينَ في العِراقِ الَّذي هاجَمَ الفَصائلَ العِراقيَّةَ بِسببِ اشتِراكِ بَعضِها في مَشروعِ الصَّحوةِ لِقتالِ القاعدَةِ، وهاجَمَ السِّياسيِّينَ السُّنَّةَ، وأظهَرَ مَقالةَ أهلِ الغُلُوِّ، لكنَّه لم يَنلْ مِنَ القاعدَةِ إلَّا الاتِّهاماتِ.

وَكذلك جَماعةُ أنصارِ الإسلامِ الكُرديَّة الَّتي وقفَتْ إلى جانبِ القاعدَةِ، واتَّهمتِ الفَصائلَ العِراقيَّةَ بتَرتيبِ مُؤامرةٍ على الجِهادِ، فَقد أعلَنتِ الشَّكوى منَ القاعدَةِ في مُنتصَفِ عام ٢٠١٣م، وكَتبتْ إلى الظَّواهريِّ حتَّى يَضغطَ على أتباعِه ليَكُفُّوا عنِ التَّجاوزِ والاعتِداءِ عَليهِم.

وكلُّ مَن يُروِّجُ لِوجودِ مُؤامرةٍ ضدَّ الجِهادِ العِراقيِّ ولا يَعزو أحدَ أسبابِ الانتِكاسةِ فيه للقاعدَةِ، فإنَّما يَنصرُ مَقالةَ داعشَ في سُوريا الَّتي انقلبَتْ على الجِهادِ والفَصائلِ السُّوريَّةِ وأحدثَتْ ما أحدثَتْ منَ الفَسادِ.

إنَّ تُهمةَ الخِيانةِ والحديثَ عَن مُؤامرةٍ أو رِدَّةٍ من جانبِ أيِّ جِهةٍ مُتطرِّفةٍ بات مَكشوفًا، ولم يَعُد مُصدَّقًا عندَ أحدٍ، لا سِيَّما بعدَ تَجربَتَي العراقِ وسُوريا، فالمُؤامرةُ والخِيانةُ في اصطِلاحِ المُتطرِّفينَ هي عدمُ مُوافقتِهم على أهوائِهم ومُطاوعَتِهم على ما يَبغونَه من أحلامٍ وأطماعٍ.

والكلامُ الَّذي نَقلْناه سابقًا عن عَطيَّةِ اللهِ اللِّيبيِّ ونصُّه: (هُناك أناسٌ مِن داخلِ إطارِ ما يُسمَّى المُقاومةَ أو حتَّى إن سُمِّي جِهادًا، طارِئُون وجُدُدٌ على الجِهادِ وعلى طَريقِ الجِهادِ، وعلى فِقهِ الجِهادِ وعلى مَنهجِ الجِهادِ، يَفتقِدون إلى الرُّسوخِ، ومُتقلِّبونَ، ولم يُوضَعوا على المَحَكِّ الحَقيقيِّ، ولم تُنجِبْهمُ الأيَّامُ الصِّعابُ، بل أنجبَتْهم ظُروفٌ وأحوالٌ أشبهُ ما تكون بالاتِّفاقيَّةِ، وكلُّ شيءٍ بقَدَرِ اللهِ تَعالى، وُجِدوا فيها ووَجدوا أنفُسَهم فيها قياداتٍ، هؤلاءِ كيفَ يُمكِنُ للحَركةِ الجهاديَّةِ أن تَأتَمِنَهم على الرَّايةِ؟! حُقَّ للجَميعِ أن يُجاهِدَ ويُساهمَ، لكنْ حُقَّ أيضًا لِأمثالِ هؤلاءِ أن يَعرِفوا قَدرَ أنفُسِهم)؛ هذا الكلامُ يُوضِّح قابليَّةَ المُتطرِّفينَ لِتَنفيذِ انقِلابٍ على الجِهادِ باسْمِ حِمايَتِه مِنَ الطَّارئينَ والمَشبوهينَ وأصحابِ المَناهجِ غيرِ النَّقيَّةِ!

سابعًا: الحِزبيَّةُ والاستِبدادُ

مِن أبرَزِ ما يُميِّز تَنظيمَ داعشَ: أنَّه انفرَدَ عن سائرِ الفَصائلِ والمَجموعاتِ السُّنِّيَّةِ العاملةِ في العِراق وسُوريا، ولم يُبالِ بِها، وتَطوَّر هجومُه ضدَّها مِن الانتِقَادِ إلى القتالِ والتَّكفيرِ على النَّحوِ الَّذي باتَ معروفًا منذ عام ٢٠١٣م.

هذه النَّزعةُ للتَّفرُّد والانعِزالِ والاستِقلالِ بالرَّأيِ والعَملِ وفرضِ الأجنْداتِ على البَقيَّةِ هوَ مِمَّا سَبقتِ القاعدةُ إلى مِثلِه خلالَ وُجودِها في أفغانِستانَ والعِراقِ، وهوَ مُرتبطٌ بالفِكرِ الَّذي يَستعلي بِصاحبِه على مَن حَولَه وما يُحيطُ به مِن مَناهجَ وبَرامجَ عَملٍ إسلاميَّةٍ وغَيرِ إسلاميَّةٍ، وقد تَقدَّم الحَديثُ عَن هذا في النُّقطةِ الأولى (الاستِعلاء على المَناهجِ الجِهاديَّةِ).

وَهنا سنَتاولُ انعِكاسَ النَّظرةِ الاستِعلائيَّةِ في سياسةِ التَّنظيماتِ المُتشدِّدةِ وعَملِها في المَيدانِ، حيثُ تَعتقِدُ هذه التَّنظيماتُ أنَّ الشَّرعيَّةَ الدِّينيَّةَ والأهليَّةَ السِّياسيَّةَ مُرتبطةٌ بأَفكارِها وأُطْروحاتِها ورِجالِها وخُططِها، وأنَّ المُخالفَ لا يَسَعُه إلَّا مُتابعَتُها وطاعَتُها دونَ اعتِراضٍ أو نَقدٍ.

ففي عامِ ١٩٩٦م عاد ابنُ لادِنَ ومَن معه إلى أفغانِستانَ، المَلاذِ الأخيرِ لَهم، بعدَ أن تَركوا السُّودانَ بِضغطٍ مِن حُكومَتِها، وفي العامِ نفسِه تَمكَّنت حَركةُ طالبانَ مِنَ السَّيطرةِ على الحُكمِ وإقامةِ الإمارةِ الإسلاميَّةِ.

كانت لابنِ لادِنَ رُؤيتُه وبَرنامَجُه على الرَّغمِ مِن قلَّةِ إمكاناتِه وضَعفِ قُدراتِه وعَجزِه عن العَملِ، بَينما كانتْ حَركةُ طالبانَ قد حَقَّقت إنجازًا ضَخمًا، وباشرتْ تَطبيقَ الشَّريعةِ وفَرضَ الأمنِ وتَثبيتَ حُكمِها داخليًّا وخارجيًّا.

كان ابنُ لادنَ يُريدُ إخراجَ القُوَّاتِ الأمريكيَّةِ مِنَ السُّعوديَّةِ والخليجِ مِن خلالِ إصدارِ بَيان: (إعلان الجِهادِ على الأمَريكيِّينَ المُحتلِّين لبلادِ الحَرمين في آب ١٩٩٦م)، وَهذا التَّوجُّه كان مُتصادِمًا معَ المَكاسبِ الَّتي حقَّقتْها حركةُ طالبانَ وتَطلُّعاتِها إلى مَزيدٍ مِن الاستِقرارِ والإعمارِ للبِلادِ.

سنَروِي قصَّةَ الخِلافِ بينَ ابنِ لادِنَ وطالبانَ، وكيفَ أدَّت عمليَّةُ ١١ أيلول إلى الإطاحةِ بِنظامٍ إسلاميٍّ راح ضحيَّةَ فِكرةٍ اقتَنعَ بِها بِضعةُ أفرادٍ دونَ حِسابٍ لِنَتائجِها وعَواقبِها.

سيَكونُ الكلامُ لِمُصطَفَى حامِد المِصريِّ المُقرَّب مِن طالبانَ وابنِ لادنَ، وقد عايَشَ تلكَ السَّنواتِ (١٩٩٦- ٢٠٠١م)، وهوَ مِن رُموزِ الأفغانِ العَرَبِ، وله عِدَّةُ كُتبٍ في تَأريخِ الجِهادِ العربيِّ في أفغانِستانَ.

في البدايةِ سنَتناولُ تَقييمَ مُصطَفى حامِد لِشخصيَّةِ ابنِ لادنَ وطَريقتِه في اتِّخاذِ القرارِ، يَقولُ: (كان ابنُ لادنَ مُتحمِّسًا لبناءِ السُّودانِ الإسلاميَّةِ اقتِصاديًّا، وَكعادتِه دَومًا إذا اقتَنعَ بِفِكرةٍ ما

فإنَّه يَندفعُ فيها بكلِّ قُواه وإمكانيَّاتِه بل وَكيانِه كلِّه، وإذا تَلبَّسته حالةٌ كَهذه فلا سبيلَ لِتَغييرِ قَناعاتِه أوِ التَّأثيرِ عليه سوَى اتِّجاهٍ واحدٍ فقط، وهوَ الدَّفعُ مَعه في نفسِ الاتِّجاه، وغالبًا ما تَنتهي تَجارِبُه هذه بالفَشلِ إنْ لم يَكنْ بِكارثةٍ، وقد تَلبَّسته تِلك الحالةُ في سنواتِه الأخيرةِ مِن وُجودِه في أفغانِستانَ، فلم يُبالِ بِمَن حولَه مِن كبارِ مَسؤولي التَّنظيمِ، بلْ لم يُبالِ حتَّى بحاكمِ البلادِ (المُلَّا مُحمَّد عُمَر) رغمَ هيبةِ مَنصبِه الدِّينيِّ كأميرٍ للمُؤمنينَ)[1].

ويَقولُ أيضًا: (لَقد أثبَتَ ذلكَ أنَّ القومَ[2] في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى عدوٍّ شَرسٍ يُبرِّر تَواجدَهُم وعُدوانَهم على الحالةِ الإسلاميَّةِ، ولا بُدَّ أن يكونَ العَدُوُّ إرهابيًّا مُسلمًا لِيُحقِّقَ لَهُم إستراتيجيَّةَ ما بعدَ الحربِ الباردَةِ... لقدْ لَعِبَ ابنُ لادنَ دَورًا رئيسيًّا في آخرِ مَراحلِ الحربِ الباردَةِ في قيادَتِه لِتَنظيمِ القاعدَةِ في الحربِ الأفغانيَّةِ ضدَّ السُّوفييت، ثمَّ ضدَّ نظامِ كابولَ في مرحلةِ الحربِ الأخيرةِ، وتمَّ رَصدُه بِشكلٍ جيِّدٍ، ولا شكَّ أنَّهم أدركوا أنَّ الفَرديَّةَ المُطلَقةَ لِذلك العدُوِّ تَجعلُه غيرَ قادرٍ على المُضِيِّ بعيدًا في الإضرارِ بِمَصالحِهم، وأنَّ (القاعدَةَ) كَتنظيمٍ يُدارُ بِطريقةِ ابنِ لادنَ الأبويَّةِ المهذَّبةِ والمُتسلِّطةِ[3] في آنٍ واحدٍ جَعلتْ ذلكَ

(١) صليب في سماء قندهار، ص ٤٥.

(٢) القوى الكبرى بزعامة الولايات المتحدة.

(٣) يَقصِد بالأبويةِ المهذَّبة والمتسلِّطة ما أوضحه في ص ٤٧ من الكتاب نفْسه بقوله: (لقد تحرَّك ابن لادن بتصوُّر مُستقِلٍّ عن الأمَّة وعن مصالحها؛ لأنَّه تحرَّك بتمويل مستقلٍّ =

التَّنظيمَ غارقًا في السَّلبيَّةِ وانعدامِ المُبادرةِ الفَرديَّةِ، فقدْ تَقلَّص التَّنظيمُ حَجمًا وأداءً إلى مُجرَّد مَكتبٍ يُموِّله ابنُ لادنَ، حتَّى إنَّ المَعركةَ الأخيرةَ في أفغانِستانَ كانتْ -وبِكلِّ الفاجعَةِ- مَعركةَ الولاياتِ المتَّحدةِ ومِن خَلفِها وأَمامها نظامٌ دُوَلِيٌّ مُتكامِلٌ ضدَّ ابنِ لادنَ كَشخصٍ مُتفرِّد يُديرُ مَعركةً كونيَّةً بِواسطةِ مَكتبِه الخاصِّ والمُسمَّى تَجاوزًا: تنظيمَ القاعدةِ.

وكانَ الشَّعبُ الأفغانيُّ في مَوقعِ المُتفرِّج، بَينما تَنظيمُ الطَّالبانِ يُحاولُ الدِّفاعَ عن نَفسِه، وقدْ عَزلَه ابنُ لادنَ بِسياستِه عن قَواعدِه الشَّعبيَّةِ التَّقليديَّةِ)[1].

ويقولُ أيضًا: (يَمتلكُ ابنُ لادنَ سَجايا حاكمٍ عربيٍّ حقيقيٍّ، أو أنَّه مَشروعُ مَلِكِ الحِجازِ، وأهمُّ سَجاياهُ المَلكيَّةِ: أنَّه يَقبلُ أيَّ رأيٍ وكلَّ وِجهةِ نظرٍ تُؤيِّد ما قَرَّره هوَ بالفِعلِ، وتَعلَّم أتباعُه الكبارُ تلكَ المَيْزَةَ وتَيقَّنوا أنْ لا فائدةَ مِنَ السَّيرِ في عَكسِ الطَّريقِ، فَفي أعقابِ المُناقشاتِ السَّاخنةِ ذاتِ النَّتائجِ المَعروفةِ سَلفًا يَبتسمُ أحدُهُم بِيأسٍ قائلًا في ختامِ السِّجالِ: أنتَ الأميرُ، ثُمَّ يُطيعُ ما يَصدُرُ إليه مِن أوامرَ، وهوَ يعلمُ يَقينًا أنَّها خطأٌ)[2].

يقولُ أيضًا: (الطُّيورُ المُهاجرةُ مِنَ التَّنظيماتِ الجِهاديَّةِ

= عن الأمة ومشاركتها، استقلاليَّتُه الماليَّة أكسبتْه الطابعَ الأَبويَّ الذي يرَى من خلاله ضرورةَ أن يُطيعه الآخَرون بأدبٍ وبلا تدخُّل).

(١) صليب في سماء قندهار، (ص ٤٨ - ٤٩).

(٢) صليب في سماء قندهار، (ص ٧٦).

شَرعتْ في العَودةِ الجَبريَّةِ إلى أفغانِستانَ.

أكثرُهُم أفلتَ بِمُعجزةٍ مِن مُلاحقاتٍ أمنيَّةٍ وتَشرُّدٍ في بلادِ اللهِ بِجوازاتٍ مُزوَّرةٍ عبرَ مَطاراتٍ مُلغَّمةٍ بأَجهزةِ الأمنِ الدُّوَليَّةِ والعَربيَّةِ.

جَماعةُ الجهادِ المِصريَّةِ وصلَتْ بِكاملِ هَيئتِها وما تَبقَّى مِن قُوَّاتِها الضَّاربةِ المُكوَّنة مِن زَعيمِها الدُّكتور أَيْمَن الظَّواهريِّ وتِسعةٍ مِن كوادرِ الجَماعةِ.

الجماعةُ الإسلاميَّةُ المصريَّةُ أهدتْ أفغانِستانَ خمسةً مِن فَلَذاتِ أكبادِها، والباقي احتَفظتْ به المُعتقَلاتُ المِصريَّةُ والمَنافِي الأُورُبيَّةُ.

الجَماعةُ اللِّيبيَّةُ المُقاتلةُ جاءت إلى باكِستانَ لتُراقبَ عن كَثبٍ ما يَحدُث في أفغانِستانَ، وقدْ راودَتْها شُكوكٌ وثارتْ لَديها أسئلةٌ عمَّا يَجري على السَّاحتَينِ العَربيَّةِ والأفغانيَّةِ.

مِن المَغرِبِ العَرَبيِّ -أو المَغرِبِ (العَصَبيِّ) كما يَتندَّرُ المِصريُّونَ- توافَدَ أفرادٌ هائِمونَ وشَظايا تَنظيماتٍ تهدَّمت، يَحلُمون أحلامًا بانبِعاثٍ جَديدٍ، وساقَتْهم الآلامُ والأحلامُ إلى أفغانِستانَ، لعلَّ وعَسَى، وكانوا كَغيرِهم مُتوجِّسينَ ولَديهم أسئلةٌ أكثرُ مِنَ الإجاباتِ المتاحةِ.

عَرَبٌ مِن أُورُبَّا، أصحابُ أُسَرٍ جَديدةٍ مِن زِيجاتٍ مُختلطةٍ،

حلَّقت بِهم أجنحةُ الأملِ بدولةٍ إسلاميَّةٍ ومُجتمعٍ يَسودُه الخُلقُ الإسلاميُّ النَّبيلُ.

وصلَ هؤلاءِ وتَجمَّع أكثرُهُم في (جَلالِ أبادَ) الَّتي اختاروها لِتكونَ مَوطنًا يُحقِّقونَ عليه أحلامَ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ الفاضلَةِ.

أكثرُ هؤلاء لم يَكونوا في تَنظيماتٍ إسلاميَّةٍ، ولم تَشْغَلْهُم تلك الفِكرةُ كَثيرًا.

شبابُ اليَمنِ والجَزيرةِ جاءوا خِصِّيصًا مِن أجلِ ابنِ لادنَ، بَعضُهم يَعرِفُه وارتبَطَ به سابقًا، وبعضُهُم جاءَ بدافعِ الفُضولِ، وآخرونَ لاستِطلاعِ الأوضاعِ الجَديدةِ في أفغانِستانَ حتَّى يُقرِّرَ مَن خَلفَهم الخُطواتِ التَّاليةَ.

ومِن خلفِ هؤلاءِ إمَّا شيوخٌ أو تَنظيماتٌ إسلاميَّةٌ مُتباينةُ التَّوجُّهاتِ أو أجهزةُ دَولةٍ شَغوفةٌ بالنَّظرِ مِن خلالِ النَّوافذِ أو شُقوقِ الحِيطانِ.

وكان لدَى ابنِ لادنَ ذلك الأملُ المشروعُ بالوحدةِ الإسلاميَّةِ الشَّاملةِ، ولكنْ وَفْقَ تَصوُّرِه الخاصِّ الَّذي يَضعُ ابنَ لادِنَ مِحْورًا للأملِ، ويَجعلُه قُطبَ الرَّحَى مِن ذلكِ الحُلمِ العَظيمِ.

الَّذين تَحدَّثوا معه عنْ مَوضوعِ العملِ المُشتركِ أوِ التَّنسيقِ أو حتَّى الوحدةِ الاندِماجيَّةِ، تَساءَلوا عن موضوعِ الشُّورى، **وَكان مَوقِفُه الَّذي لا يَتزعزَعُ بأنَّها غيرُ مُلزِمةٍ للأَميرِ**، ثمَّ اختزلَ السُّنَّةَ

النَّبويَّةَ والتَّاريخَ الإسلاميَّ كلَّه في قرارِ حُروبِ الرِّدَّةِ، وكيفَ أنَّه كان قَرارًا فرديًّا ومخالفًا لآراءِ أهلِ الشُّورى الَّذين تَبيَّنوا فيما بَعْدُ صَوابيَّةَ القرارِ وبُعدَ النَّظرِ فيه، فلمَّا طرَحَ المحاورونَ مَواقفَ أُخرَى كان رأيُ الشُّورى فيها هوَ النافذَ لم يُجْدِهم ذلك نفعًا.

حتى إنَّ الظُّرفاءَ علَّقوا على مَوقفِه مِنَ الشُّورى قائلينَ: (لقدْ أضاعَ المسلمونَ أوقاتًا وكَتَبوا البُّحوثَ الطِّوالَ حولَ مَوضوعِ الشُّورى، وهلْ هيَ بالنِّسبةِ للأميرِ مُعلِمةٌ أو مُلزِمةٌ؟ حتَّى جاءَ ابنُ لادنَ وأثبتَ بِما لا يدَعُ مَجالًا للشَّكِّ أنَّ الشُّورى مَلهاش لازمة[1]).

وكانت نُكتةً سوداءَ؛ لأنَّ الدِّماءَ سالتْ أنْهارًا مِنْ أفغانِستانَ بِسببِ قَرارٍ لَم يَستَشِرْ ابنُ لادنَ فيه أحدًا، لا منَ العَرَبِ وَلا مِنَ الأفغانِ)[2].

وقد تَناولَ أبو مُصعبٍ السُّوريُّ بَعضَ أخطاءِ الحَركاتِ الإسلاميَّةِ المُسلَّحةِ فذَكرَ مِنها: (كانت إشكاليَّةُ الشُّورَى وطَريقةُ اتِّخاذِ القَرارِ مِن أكبرِ الإشكاليَّاتِ الَّتي رافقَتِ العَملَ في مُعظمِ التَّنظيماتِ الجِهاديَّةِ، وأدَّت في كثيرٍ مِن الأحيانِ إلى الانشِقاقاتِ والانقِساماتِ في التَّنظيماتِ وتَفشِّي الظَّاهرةِ الَّتي

(١) (ملهاش لازمة) باللهجة المصرية، وتعني: (لا داعي لها، أو أنهَّا لا تلزم).
(٢) صليب في سماء قندهار، ص ١١٢-١١٣.

أَسمَيْتُها (التَّنظيماتِ الأَمِيبيَّةَ) الَّتي تَنقسِمُ وتَنقسِمُ وما تَلبثُ أن تَنقسِمَ.

فقدِ اعتَمدت أكثرُ التَّنظيماتِ الجهاديَّةِ مَبدأَ الشُّورَى غيرِ المُلزِمةِ، حيثُ تَعني أنَّ الأَميرَ مُفوَّضٌ في اختيارِ ما يرَى مِن قَراراتٍ بعدَ الاطِّلاعِ على آراءِ قياداتِه ومُعاوِنيه.

واتَّخذَ القَليلُ مِنها مبدأَ الشُّورى المُلزمةِ، حيثُ يُلزَمُ الأميرُ بالأخذِ برأيِ أغلبيَّةِ مَجلسِ القيادَةِ أوِ الشُّورَى في مسألةٍ ما.

وَهذه مسألةٌ يطولُ شرحُها وتِبيانُ سَلبيَّاتِ وإيجابيَّاتِ كلِّ طريقةٍ، وليسَ هذا مكانَ التَّوسُّع والبَسطِ.

وقد تَلافتْ بعضُ التَّنظيماتِ الجِهاديَّةِ هذه الإشكاليَّاتِ بِجَعلِ الشُّورَى على نَوعَينِ؛ مُلزِمةٌ في القَراراتِ الإستِراتيجيَّةِ العامَّةِ والهامَّةِ، وغيرُ مُلزِمةٍ في تكتيكاتِ تَنفيذِ تلكَ الإستِراتيجيَّاتِ)[1].

تَحدَّث مُصطفى حامِد عنِ الخِلافِ الَّذي تَصاعَدَ بينَ حركةِ طالبانَ وبينَ أسامةَ بنِ لادِنَ الَّذي باشَرَ تَنفيذَ رُؤيتِه مِن خلالِ مُهاجمةِ الوِلاياتِ المتَّحدةِ في وسائلِ الإعلامِ الدُّوَليَّةِ؛ مِمَّا تَسبَّب في ضَغطٍ على حُكومةِ الإمارةِ، وتحتَ عنوانِ: (الفَشَلُ الأكبَرُ للمُلَّا عُمَر: إغلاقُ فَمِ ابنِ لادِنَ) كَتبَ:

(العديدُ مِن الوُزراءِ تَوافدوا على المقرِّ الشِّتويِّ لابنِ لادنَ

(١) دعوة المقاومة الإسلامية، ص ٨٥١.

في قَريةِ (عرب خيل)، كان الوُزراءُ -وكلُّهم منَ الشَّبابِ- يَأتون مِن كابولَ إلى جَلالِ أبادَ للمُجاملةِ وأحيانًا للمُشاورةِ مع ابنِ لادنَ في بعضِ الشُّؤونِ الفنِّيَّةِ لِوَزارتِهم، خاصَّةً في الزِّراعةِ والكَهرباءِ والإنشاءَاتِ، كانوا على خَلفيَّةٍ بِخِبراتِه القَريبةِ مِن تلكَ المَجالاتِ، وربَّما راوَدَهم الأملُ أن يَرمِيَ بِثقلِه في بناءِ الإمارةِ الإسلاميَّةِ الأفغانيَّةِ كَما فعلَ سابقًا في السُّودانِ.

لم يَبخلِ الرَّجلُ بِنَصائحِه، ولكنَّه كان على قابِ قَوسَينِ مِنَ الإفلاسِ الماليِّ.

كانتِ الزِّياراتُ في مُجمَلِها بِتَوجيهٍ مِنَ المُلَّا عُمَر الَّذي أرادَ إبلاغَ ابنِ لادنَ رِسالةً مَفادُها: سوف نَعتبِرُك واحدًا منَّا، ولكن لا تَتكلَّمْ في وسائلِ الإعلامِ.

ولكن ابن لادِنَ أثبتَ قولًا وعملًا أنَّه مُستعِدٌّ للتَّضحيةِ بأفغانِستانَ والمُلَّا عُمَر، ولا يَتوقَّف عنِ الكَلامِ.

تَعدَّد ظُهورُ ابنِ لادنَ في الإعلامِ الدُّوَليِّ، فبدأَ بِحَديثٍ مع صَحيفةِ الإنْديبنْدنتِ البِريطانيَّةِ، والَّتي زاره في جلالِ أبادَ مَندوبُها الأشهَرُ رُوبرت فِسك الَّذي أجْرى مَع ابنِ لادنَ في جَلالِ أبادَ حديثًا أثارَ ضجَّةً كبيرةً كانتْ هيَ الأُولَى بعدَ وُصولِه مِنَ الخُرطومِ، ثمَّ دَخلتْ محطَّاتُ التِّلفزيونَ البِريطانيِّ والأمريكيِّ على الخطِّ، ثمَّ صحافةُ لندنَ العَربيَّةِ حينَ حاورَه

في (تُورا بُورا) عبدُ الباري عَطْوان عن جَريدةِ القُدسِ العربيِّ، وحصلَ مِن ابنِ لادنَ على أوَّل كَشفٍ له عن دَورِ القاعدَةِ في القتالِ ضدَّ القوَّاتِ الأمريكيَّةِ في الصُّومالِ عام ١٩٩٤م (حضَر الكاتبُ اللِّقاءاتِ لابنِ لادنَ معَ رُوبرت فِيسك ثمَّ عبدِ الباري عَطْوان، وكانَ يَسكنُ وقتَها مدينةَ جلال أباد).

تصاعَدَ الضَّجيجُ الإعلاميُّ عالَمِيًّا حولَ ابنِ لادنَ إلى أقصى حدٍّ، وهوَ مِن جانبِه تَيقَّظت فيه كلُّ الحواسِّ مِن أجلِ الكلامِ، ولم تُجدِ نفعًا صيْحاتُ الرَّجاءِ والاستِغاثةِ والتَّحذيرِ الَّتي أطلَقَها المُلَّا عُمَر بنفْسِه، ثُمَّ رئيسُ وُزرائِه، ثُمَّ وزيرُ خارجيَّتِه، وذلكَ بالتَّتابُعِ.

وفي خِلال الشَّهرينِ الأخيرَينِ مِن عام ١٩٩٦م كانتْ أقدامُ حركةِ طالبانَ لم تَثبُت بعدُ على أرضِ كابولَ المتصدِّعَةِ، في تلكَ الفَترةِ ظهَرتْ نواةٌ مُعارضةٌ لابنِ لادنَ داخلَ حركةِ طالبانَ، وكانتْ حركةُ طالبانَ في حالةِ توسُّعٍ ونَجاحٍ في أفغانِستانَ، والتَّواجدُ النَّاشِئُ بدأَ يَجذِب أنصارَ الحركةِ الإسلاميَّةِ في العالَمِ بعدَ الأحاديثِ الجريئةِ والمُثيرةِ لابنِ لادنَ معَ الإعلامِ الدُّوَليِّ.

الجَناحُ المُعارِضُ داخلَ صُفوفِ طالبانَ كانَ على رأسِه وأهمَّ رُموزه: مُلَّا محمَّد حَسَن، وهوَ عضوٌ في مَجلسِ شُورى طالبانَ، وتولَّى وزارةَ الخارجيَّةِ لِفترةٍ، وَكان يَرى بأنَّ ابنَ لادنَ هوَ الَّذي يُحدِّدُ السِّياسةَ الخارجيَّةَ للإمارةِ، فتَواجدُه في البلادِ ونَشاطُه

الإعلاميُّ أثارَ رُدودَ أفعالٍ أمريكيَّةٍ وباكستانيَّةٍ وسُعوديَّةٍ، ثُمَّ بالتَّأثيرِ الأمريكيِّ تَحرَّكت أُورُبَّا والأممُ المتَّحدةُ، حتَّى لم يَعُد في إمكانِ الإمارةِ أو وَزارةِ الخارجيَّةِ ضبطُ إيقاعِ العلاقاتِ الخارجيَّةِ خارجَ تلكَ الدَّوَّامةِ الَّتي أثارَها ذلكَ الرَّجلُ.

في رَأيِي ذلكَ الجَناحِ مِنَ الصُّقورِ: أنَّ ابنَ لادنَ يَجبُ أن يُعاقبَ أو أن يُطرَدَ لِرَفضِه مِرارًا طاعةَ تَوجيهاتِ أميرِ المؤمنينَ بالامتِناعِ عنْ إجراءِ المُقابلاتِ الإعلاميَّةِ.

المُلَّا محمَّد حَسَن كان الأكثرَ جُرأةً في تيَّارِ الصُّقورِ حينَ عبَّرَ صَراحةً في مَجالسِه بأنَّ هؤلاءِ العَربَ الوَهَّابيِّينَ لا داعيَ لَهم، فهُم خصومٌ لَنا في الأساسِ، فهُناك خُصومةٌ مَذهبيَّةٌ لا حلَّ لَها بينَ الوَهَّابيَّةِ والصُّوفيَّةِ، ثُمَّ إنَّ هؤلاءِ كانوا يَدعَمون حِكمَتيار وسيَّاف وقتَ الجِهادِ، فهُم مِنَ الإخوانِ المُسلمينَ أعداءِ طالبانَ، ثُمَّ إنَّ العَربَ قاتَلوا مَع حِكمتيار ضدَّ حَركةِ طالبانَ وقَتلوا مِنهم الكَثيرينَ، ثمَّ يَتساءلُ عنِ السَّببِ في تَحمُّلِ مَصائبِهم.

ومِن هنا نَشأتِ اتِّهاماتٌ تُشكِّكُ في ابنِ لادنَ بأنَّه مَبعوثٌ مِن أمريكا لإيجادِ ذَريعةٍ لِضربِ حَركةِ طالبانَ.

وَكانتْ تلكَ نَظريَّةً تآمُريَّةً موجودةً بالفعلِ في صُفوفِ طالبانَ؛ لتَفسيرِ ظاهرَةِ ابنِ لادنَ الَّتي داهمَتْ حَركتَهُم على غيرِ انتِظارٍ فحدَّدتْ مَصيرَها.

لَقدْ كانَ للمُعارضةِ في صُفوفِ العرَبِ أسبابٌ أُخرى، فقال الصُّقورُ: إنَّ بيانَ ابنِ لادنَ (إعلان الجِهادِ على الأمِريكيِّينَ) جاء قبلَ سيطرَةِ حركةِ طالبانَ على العاصمَةِ كابولَ الَّذي جعَلَها حكومةً رسميَّةً للبلادِ، الأمْر الَّذي يَستدعِي إدخالَ تَعديلاتٍ جَوهريَّةٍ، فَهناك الآنَ حكومةٌ شرعيَّةٌ لا بُدَّ مِنَ الخُضوعِ لِسُلطانِها وأوامِرِها، وبَرنامجٌ مِثلُ إعلانِ الجِهادِ لا بُدَّ أن يَتِمَّ بالمُشاورةِ معَ حاكمِ البلادِ أميرِ المُؤمنينَ، طِبقًا لتَصوُّراتِه أو بالأَحرَى قُدرَتِه على الاحتِمالِ، وإذا لمْ يَتمِّ هذا التَّنسيقُ فسيَحدُثُ الصِّدامُ عاجلًا أو آجِلًا بينَ ابنِ لادنَ والعربِ معه وبينَ الإمارةِ، والعرَبُ مُجرَّدُ ضُيوفٍ، وهُمُ الطَّرفُ الأضعفُ، فإمَّا أنَّهم سيُرغَمون عَلى مُغادرةِ البِلادِ أو أن يَصمُتَ ابنُ لادنَ، وربَّما توقَّفت جَميعُ نَشاطاتِه الأُخْرى خاصَّةً مُعسكَرات التَّدريبِ.

وحدَثَ إجماعٌ عربيٌّ في العامَينِ الأخيرَينِ قبلَ خُروجِهم الأخيرِ منْ أفغانِستانَ بأنَّ عَليهم -وعلى ابنِ لادنَ بِشكلٍ خاصٍّ- الانتباهَ إلى أنَّ أفغانِستانَ هي آخرُ جُزءٍ على وجهِ الأرضِ يَقبلُ بإقامَتِهم بشكلٍ طبيعيٍّ وبِدونِ أن يَكونوا مُهدِّدينَ خارجيًّا أو داخليًّا، ولم يَكُنْ ثَمَّةَ خلافٌ بينهم على أنَّ تَقديرَ أمورِ الدَّولةِ وإدارَتِها هوَ مِن صلاحيَّاتِ ومَسؤوليَّاتِ المُلَّا عُمَر أميرِ المُؤمنينِ، وأنَّه ليس مِن حقِّ ابنِ لادنَ الخروجُ عن هذه السُّلطةِ أو عِصيانُها أو تَكوينُ دَولةٍ موازيةٍ داخلَ أفغانِستانَ.

كان ابنُ لادنَ يوافِقُ ظاهريًّا على ذلك، ولكنَّه بَرهَنَ على أنَّه الشَّخصُ الوحيدُ في أفغانِستانَ الَّذي يَرَى لنَفسِه الحقَّ، وأنَّه عندَه القُدرةُ أن يَفعلَ ما يُريدُ، فتمكَّن مِن قيادةِ الرَّكبِ الإسلاميِّ في أفغانِستانَ إلى الهاوِيةِ[1])[2].

يُتابعُ مُصطفى حامِد قائلًا: (في شِتاء ١٩٩٦م بعدَ أسابيعَ قليلةٍ من إعلانِ الجِهادِ ضدَّ الأمِريكيِّينَ، أصبَح ابنُ لادِنَ أشهَرَ وأهمَّ شخصيَّةٍ في باكستانَ، والشَّعبُ الَّذي وَقَف بحماسٍ خلفَ صدَّام حُسَين ضدَّ الأمريكانِ في حربِ تَحريرِ الكُوَيْتِ عادَ بحماسٍ أشدَّ لِيَقِفَ خلفَ ابنِ لادنَ، ولكنْ هذه المَرَّة خلفَ رجُلٍ مُجاهِدٍ وشعاراتٍ إسلاميَّةٍ خالصةٍ.

(١) (فإذا لم يكُن للأفراد من الثقافة ما يُمكِّنهم مِن فَهم أغراض الحركة ووسائلها، فإنهَّم يُتبعون القيادة حسبما سارت وأينما توجَّهت، وسَرعانَ ما يختلط موضوعُ الدعوة بشخصية القائد، وسرعان ما يَفتتن القائدُ بما يفيض عليه من الولاء الذي قد يصل في بعض الأحيان إلى حدِّ القداسة، وسرعان ما يَنصرِف عن تعليم الأتباع ما يجب أن يعرفوه من شُؤون الحركة ومناهجها ووسائلها، وحينئذ تتَّخذ الحركةُ صورةً من صور العقيدة التي تَستكِنُّ في العقل الباطن تتحرَّك بدافع من الشعور يُجاوز الفِكرَ المنطقيَّ، ويَغفُل عن الأسباب والعواقب، وحين تصِل الحركة إلى هذا الطور تكون قد وصلتْ إلى أخطر مرحلة في حياتها العامَّة: هي مرحلة المغامرة أو المقامرة؛ فإمَّا أن تقوم بعمل يرفعها درجات أو ينزل بها إلى سُفلى الدَّركات، ومهما كان الأمرُ فلن يمكن أن تُحقِّق مثل هذه الدعوة نجاحًا ذا بال، أو أن تُعمِّر طويلًا إذا افتقدتْ قائدها أو تخلَّى عنها مَن يقوم عليها (د محمود أبو السعود – مقال مشكلة المدلولات والقيادة – كتاب الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية – أوراق في النقد الذاتي، ص ٣٦٨.

(٢) صليب في سماء قندهار، ص ٨٦ –٨٨.

الجَماعاتُ الإسلاميَّة الجهاديَّةُ الَّتي شاركتْ في حربِ أفغانِستانَ ضدَّ السُّوفييت كُلُّهم يَعرِفُ ابنَ لادنَ مُنذُ تلكَ الأيَّام، وتَعاوَن أكثرُهُم معه بشَكلٍ أو بآخرَ في أمورِ الجهادِ، ولَمَّا أصبحتْ ورقتُهُ السَّياسيَّةُ رابحةً داخليًّا تسابقَتْ شَخصيَّاتٌ وتَجمعاتٌ إسلاميَّةٌ باكستانيَّةٌ على الاستِفادةِ منهُ...

المُلَّا عُمَر في أوَّلِ لقاءٍ له مع ابنِ لادنَ حذَّره مِن غَوْغائِيَّةِ العَملِ الإسلاميِّ في باكِستانَ، وقال لَه: (إنَّهم في باكستانَ لا يعرِفونَ سِوى هُتافات (يَعيش ويَسقُط)، ولم يُفِدْهُم ذلك في إقامةِ قَوانينِ الإسلامِ رغمَ أنَّ دَولتَهم قامتْ باسمِ الإسلامِ منذُ نِصفِ قرنٍ، ولكنَّنا طبَّقنا الإسلامَ في الأراضي الَّتي سَيْطرنا عليها، وبِمُجرَّد دُخولِنا إليها).

ثمَّ شرَحَ المُلَّا عُمَر نَظريَّتَه الخاصَّةَ حولَ الإعلامِ مُعتَبِرًا أنَّه لا فائدةَ فيه، وأشارَ إلى أنَّ تَجربةَ حَركةِ طالبانَ كيف أنَّها بِدونِ دعايةٍ أو إعلامٍ استطاعتْ إسقاطَ مُنظَّماتِ الفَسادِ في كابولَ، رَغمَ إمكاناتِها الدِّعائِيَّةِ وإمكاناتِ أصدقائِها الَّذين سانَدوها مِن خارجِ أفغانِستانَ.

ثمَّ وَجَّه نصيحةً لِضَيفه العَربيِّ: أنْ لا يَتعلَّقَ بالإعلامِ، وأنْ يُركِّزَ على قُدرتِه على فَرضِ الحَقائِقِ على الأرضِ، فَهذا في نَظره المِعيارُ الوحيدُ، وأشارَ إلى أنَّ الإعلامَ عَملٌ غيرُ أخلاقيٍّ، فاعتِمادُه الأساسيُّ هوَ الكَذِب، كذلك التَّصويرُ الَّذي هوَ عملٌ

مُحرَّمٌ عندَ عُلمائِهم المُعتبَرينَ، وإن كان آخَرونَ يُعارِضونَهم في ذلك. (كان الكاتِبُ مِن شُهودِ ذلك اللِّقاءِ).

عَمِلَ ابنُ لادِنَ باستِمرارٍ بِعكسِ ما أشارَ به المُلَّا عُمَر:

فالنُّقطةُ الأُولَى حولَ غُثائيَّةِ العملِ الإسلاميِّ في باكستانَ كانتْ بالإجمالِ صَحيحةً، وبَرهَنَتِ الأحداثُ السَّابقةُ واللَّاحِقَةُ على ذلك، فلم تَستَطِعْ تلك الحَركةُ أنْ تُدافِعَ لا عن ابنِ لادنَ ولا عنِ المُلَّا عُمَر رَغمَ ضَوضاءِ الهُتافاتِ والمُؤتمراتِ الحاشدَةِ.

والنُّقطةُ الثَّانيةُ عنِ الإعلامِ فيها جزءٌ صَحيحٌ لا شكَّ فيه، أمَّا عن عَدمِ جَدوى الإعلامِ فإنَّ حركةَ طالبانَ قبلَ غيرِها تَعترِفُ الآنَ بأنَّ جُزءًا مهمًّا مِن هَزيمتِها أمامَ أمريكا كانتْ بِفعلِ الإعلامِ الأمريكيِّ.

النُّقطةُ الثَّالثةُ والأهمُّ الَّتي تَطرَّق إليها المُلَّا عُمَر في مُقابلتِه الأُولَى مع ابنِ لادنَ، كانتْ حولَ المُقدَّساتِ الإسلاميَّةِ المُحتلَّةِ. ولا بُدَّ مِن الإشارةِ هُنا إلى أنَّ ابنَ لادنَ شرَحَ وِجهةَ نَظرِه بِتَفصيلٍ وعاطفةٍ جيَّاشةٍ أثَّرت في المُلَّا عُمَر، كما أثَّرت قَبْلُ في كلِّ مَسؤولي طالبانَ.

قال المُلَّا عُمَر: نحنُ نَعرفُ أنَّ الأمريكانَ لا بُدَّ أن يَترُكوا جَزيرةَ العرَبِ، وأنَّ الصَّهاينةَ لا بدَّ أنْ يَترُكوا فِلَسطينَ، ونَحنُ أيضًا مُسلمونَ ومُجاهدونَ مِثلُكم، ولا نَقِلُّ عنكم غَيرةً على

الإسلامِ، ونحنُ لَسنا جُبناءَ، فقدْ قاتَلنا ضدَّ الرُّوسِ وقَدَّمنا الشُّهداءَ والمعوَّقين حتَّى هَزمْناهُم، وسوفَ نأتي مَعكُم لِتَحرير المُقدَّساتِ، فَهذا واجبُنا.

وَلكنَّ وَضعي الآنَ هوَ هكذا (وهُنا قامَ المُلَّا عُمَر مِن مَجلِسِه بِقامتِه النَّحيلةِ الفارعَةِ، وقدْ ثَنَى رُكبَتَه) لا أنا مُنتصِبُ القامةِ ولا أنا جالِسٌ، فانتَظِروا حتَّى يَستقرَّ أمْرُنا في أفغانِستانَ وتَنتهيَ هذه الحَربُ الدَّاخليَّةُ، وستَرونَ أنَّنا سنكونُ في مُقدِّمةِ الصُّفوفِ نحوَ تَحريرِ المُقدَّساتِ. (كان الكاتبُ مِن شهودِ ذلكَ اللِّقاءِ).

في ذلك اللِّقاءِ التَّاريخيِّ حاوَلَ ابنُ لادنَ الحُصولَ على نوعٍ مِنَ التَّنفيسِ الرَّسميِّ لِبَعضِ نَشاطاتِه، خاصَّةً الإعلاميَّ مِنها، فقد كانَ في غايةِ الضِّيقِ مِنَ الضَّغطِ المُتواصلِ عليه مِن مَسؤولي الإمارةِ من أجلِ التِزامِ الصَّمتِ، وقدَّم ابنُ لادنَ عُروضًا عمليَّةً وذكيَّةً، ولكنَّه أجابَه برفضٍ مهذَّبٍ يَتوافقُ مع شخصيَّةِ الملَّا عُمَر الهادئةِ والحازمَةِ.

اقتَرح ابنُ لادنَ أن تَترُكَ له الإمارَةُ فُرصةَ الكَلامِ مع الإعلامِ الدُّوَليِّ على أن يَضعَ إلى جانبِ الدَّعوةِ لِقضيَّةِ تَحريرِ المُقدَّساتِ قَضيَّةً أُخرَى هي: شَرعيَّة الإمارةِ الإسلاميَّة، ودَعوَة التُّجَّارِ إلى الاستِثمارِ فيها.

بَعد جَلسةٍ استمرَّت ساعتَينِ، وَجَّه أميرُ المؤمنينَ رجاءً لِضيفِه

المُعزَّز المُكرَّم: أنْ يَلتزِمَ بأوامرِ الإمارةِ الإسلاميَّةِ، ويَتوقَّفَ عن الاتِّصالِ بالإعلامِ الدُّوَليِّ.

وفي الثَّواني الأخيرةِ وفي كَلماتِ الوَداعِ قال أميرُ المؤمنينَ لِضَيفِه: (لا تَحزَنْ، فأنتَ مُجاهِدٌ، وَهذا هوَ بلدُك، أنتَ فيه على الرُّحْبِ والسَّعَةِ، تَفعلُ فيه ما تَشاءُ).

وبناءً على هَذه الفقرةِ الأخيرةِ، تَصرَّف ابنُ لادنَ على أساسِ أنَّه حصَلَ على تَفويضٍ مفتوحٍ مِن أميرِ المُؤمنينَ كي يَفعلَ ما يشاءُ، أي: أنْ يُجرِيَ أيَّ لقاءٍ يريدُ معَ الإعلامِ الغَربيِّ، وحاولَ إقناعَ نفسِه ومَن معه بذلكَ، ولكنَّه أقنعَ نَفسَه، وهذا عِندَه يَكفي وزِيادة)[1].

يقولُ مُصطفى حامدٌ: (المُلَّا عُمَرُ كَما ظَهرَ مِن مُجمَلِ تَصرُّفاتِه معَ العربِ حتَّى يومِ حُكمِه الأخيرِ، كان يَطمَحُ إلى تَوظيفِ الحالةِ العربيَّةِ في أفغانِستانَ لِتَقويةِ المُجتمعِ الأفغانيِّ، وبثِّ حَيويَّةٍ جَديدةٍ في أوصالِه الَّتي أنْهكتْها الحُروبُ، وأثَّرت فيها الأيدلوجيَّاتُ الَّتي تَصارَعت مَع الإسلامِ فوقَ أرضِه لأَكثرَ مِن نصفِ قرنٍ، بل كان يَطمحُ في تَعريبِ أفغانِستانَ كما صرَّح عددٌ مِن كبارِ حركةِ طالبانَ خاصَّةً مَولوي إحسان الله، بل حتَّى عدد مِن عُلماءِ أفغانِستانَ منذُ عهدِ الجِهادِ ضدَّ السُّوفييت كان يرَى أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ هي حِصنٌ أكيدٌ للإسلامِ خاصَّةً في

(١) صليب في سماء قندهار، ص ٨٨-٨٩.

أفغانِستانَ، وأنَّ تَوطينَ العَربِ الأفغانِ -أي هؤلاء الَّذينَ جاهدوا في أفغانِستانَ- سوف يَربطُ تلكَ البلادَ معَ شعوبِ العَربِ).

(وَكان يرَى أنَّ ابنَ لادِنَ والعَربَ حولَه الَّذين سيأتونَ مُستقبَلًا للاستِيطانِ في أفغانِستانَ بِحُكم ظُروفِ الاضطِهادِ والمُلاحقةِ يَمتلِكون عُلومًا وخِبراتٍ يَفتقِدُ إليها الأفغانُ، وسوف تُساعدُ في بناءِ الإمارةِ الإسلاميَّةِ.

الزِّياراتُ البَسيطةُ والجَلساتُ غيرُ المُتكلَّفةِ كان جَوهرُها عَرضًا بالمُشاركةِ يُقدِّمُه أميرُ المؤمنينَ لِزعيمِ العَربِ ابنِ لادنَ، ولكنْ مِنَ النَّادرِ جدًّا – إن لم يَكنْ مُستحيلًا – وبِحكمِ خِبرةِ التَّاريخِ أنْ يَتمكَّنَ الإيمانُ المُتواضعُ مِن قيادةِ الثَّروةِ المُنتشيةِ بالغُرورِ، حتَّى ولو كان كِلاهُما على أرضيَّةٍ دينيَّةٍ واحدةٍ، فالمالُ لا يرَى لِنفسِه مكانًا غيرَ الصَّدارةِ والقيادةِ، حتَّى وإنِ انعدَمتْ في صاحبِ المالِ قُدراتُ ومَواهبُ الإمارةِ، ومِنَ السُّخريةِ أنَّ ابنَ لادنَ وقتَها كان لا يَملِكُ مالًا وجَفَّت مَنابعُه تمامًا، وبدأَ يَقترضُ مِن بعضِ مشايخِ باكستانَ كي يُطعِمَ سكَّان قَريةِ (عرب خيل) الَّتي هي كلُّ ما تبقَّى مِن تَنظيمِه الأُسطوريِّ (القاعدةِ)، ولكنَّ الإعلامَ الدُّوَليَّ قرَّر أنَّ ابنَ لادنَ مِلياردير وأنَّه أهمُّ وأخطرُ رجلٍ في العالَمِ، وأنَّه العدوُّ الأوَّلُ لِلولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّةِ، وأنَّ تَنظيمَ القاعدةِ مُنتشرٌ بالآلافِ في جميعِ ثُقوبِ العالَمِ.

كان ابنُ لادنَ ومَن معه يَضحكونَ مِن تلك التُّرَّهاتِ، ولم

يَلبثوا أن أَخذوا يَتصرَّفون على هذا الأساسِ، فضَربَهُم الغُرورُ والتَّعالي والثِّقةُ الزَّائدةُ بالنَّفسِ واستِصغارُ شأنِ الآخرينَ، أوِ احتقارُهُم أحيانًا، وكانوا عن ثقةٍ يَعتقِدون بأنَّ الحركةَ الإسلاميَّةَ أجمعَ يَجبُ أن تَنضوِيَ تَحتَ لِوائهم؛ لأنَّهم أخيرًا قد عَثروا على الطَّريقِ الصَّحيحِ والزَّعامةِ التَّاريخيَّةِ الَّتي هزَّتِ العالَمَ، وبَدأتِ الرُّؤى والأحلامُ الَّتي تُؤيِّد ذلك تَتوافدُ... وعلى الأرضِ كانتِ القَليلُ جدًّا مِنَ العَلائمِ تُشيرُ إلى صحَّةِ الأحلامِ، بل إنَّ مُرجفينَ ومُتخاذلينَ -وهم قَليلونَ بكلِّ أسَفٍ- دقُّوا أجراسَ الإنذارِ مُبكِّرًا، ووَضعوا الأصابعَ إلى إشاراتٍ في حَجمِ الجِبالِ على أنَّ المَسيرةَ ذاخرةٌ بالأخطاءِ والتَّجاوزاتِ، وأنَّ الخطرَ وَشيكٌ وَماحِقٌ على كلِّ أفغانِستانَ ومَن عَليها مِن مُسلمينَ، عربًا وأفغانًا.

فلَيس مِنَ المُبالغةِ إذنْ أن نَقولَ بأنَّ الإعلامَ الدُّوَليَّ قد أفسدَ ابنَ لادنَ والقاعدةَ، ووَضعَهُم على طَريقِ الانحِدارِ والهَزيمةِ، وألبَسَهمُ الغُرورَ والإهمالَ حتَّى قبلَ أن يُطلِقوا طلقةً واحدةً في مَسيرةِ الدَّعوةِ إلى جِهادِ الأمريكيِّينَ المُحتلِّينَ لِجزيرةِ العَربِ).

(كان ابنُ لادنَ دائمَ الثَّناءِ على المُلَّا عُمَر، وكانَ الرَّجلُ مُستحقًّا لذلكَ بلا أَدنى شكٍّ، ولكنَّ ابنَ لادنَ لم يَقرِنْ أبدًا الثَّناءَ بالطَّاعةِ، خاصَّةً إذا تعلَّق الأمرُ بِبَرامِجه وخُططِه، وكانَ يُصرِّح في جَلساتِه الخاصَّةِ: (أنَّ الإخوةَ الطَّالبانَ جَزاهم اللهُ خيرًا لا يُدرِكون أبعادَ

الواقعِ وَلا مَصالِحَ المُسلمينَ خارجَ أفغانِستانَ، ونحنُ أقدرُ مِنهم على ذلك)، وبالتَّالي ضَربَ عُرضَ الحائطِ بأَوامرِ أميرِ المُؤمنينَ ومَصالحِ أفغانِستانَ، بلْ ذَبحَها وقَدَّمها قُربانًا لِمَصلحةِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ الَّتي لم يَتحقَّق منها شيءٌ رَغمًا عن ذلكَ.

شَعَر أميرُ المؤمنينَ -وهوَ الرَّجلُ اللَّمَّاحُ- أنَّ جُموحَ ابنِ لادنَ وفِتنةَ النَّاسِ به بِفعلِ سِحرِ الإعلامِ الدُّوَليِّ، سوف يُؤدِّي في النِّهايةِ إلى ما لا يُحمَدُ عُقباه، وهوَ مُنذُ اليومِ الأوَّل قدِ استبعَدَ نهائيًّا لغةَ القهرِ معَ ابنِ لادنَ وعربِ أفغانِستانَ، وظلَّ صامدًا على قَرارِه هذا حتَّى اليَوْم الأخير مِن حُكمِه.

وبناءً على مَشورةٍ مِن أحدِ مُساعديه ومِن أحدِ عُلماءِ باكستانَ، قرَّر المُلَّا أنَّ المُصاهرةَ قد تَحُلُّ المشاكلَ السِّياسيَّةَ المُستعصيةَ، فهذا ما يَحدُث عادةً في المجتمعِ القَبليِّ، حتَّى بينَ الدُّوَلِ وإلى عَهدٍ قريبٍ، فذَهبَ أحدُ الوُسطاءِ إلى ابنِ لادنَ يَسألُه عَن إمكانِ تَزويجِ إحدى بَناتِه لِأميرِ المُؤمنينَ، لكنَّ الرَّجلَ اعتَذرَ بأنَّ بَناتِه ما زِلنَ صَغيراتِ السِّنِّ)[1].

تحتَ عُنوان: (اتِّحاد قندهار ٢٣ فبراير ١٩٩٨م) كَتبَ مُصطفى حامِد:

(صدرَ بيانٌ يُبشِّرُ المُسلمينَ باتِّحادِ عدَّةِ مُنظَّماتٍ جِهاديَّةٍ معَ القاعدَةِ، بِهَدف الجِهادِ المُشترَكِ ضدَّ الأمريكانِ.

(١) صليب في سماء قندهار، ص ١١٠-١١٣.

القَريبون مِن الأوضاعِ تَساءلوا عَن جَدوَى هذا البَيانِ الَّذي لا تُوجَدُ أيُّ فُرصةٍ لِخُروجِه منَ الأوراقِ الَّتي كُتِبَ عليها إلى حيِّزِ التَّنفيذِ، وَكان ردُّ قياداتِ القاعدَةِ عَجيبًا حين قالوا بأنَّ هذا البَيانَ لِرفعِ الرُّوحِ المَعنويَّةِ للمُسلمينَ.

أكثرُ مَن وُضِعت أسماؤُهُم على البَيانِ لم يَكونوا مُقتنِعينَ، ولكنَّهم أُخِذوا بسيفِ الحياءِ، ثُمَّ بَعدَ ذلك بسَنواتٍ أُخِذوا بِسيفِ الانتِقامِ الأمريكيِّ لِمُجرَّد وضعِ أسمائِهِم على تلكَ الورقةِ الَّتي لم تَرفعْ مَعنويَّات أحدٍ بل أضرَّت بالكَثيرينَ.

إثرَ هذا البيانِ المَعنويِّ أقدَمَ ابنُ لادنَ على خُطوةٍ مَعنويَّةٍ أُخْرى، بأنْ عَقدَ مُؤتَمرًا صَحفيًّا مُوسَّعًا في مُعسكرِ (جهاد وال) في جبالِ خوست، ولأوَّلِ مرَّةٍ يُقدِّمُ ابنُ لادنَ نائبَيْنِ له جَلسَا عن يَمينِه ويَسارِه، وهُما: الدُّكتورُ أيمنُ الظَّواهريُّ أميرُ تَنظيمِ الجِهادِ المِصريِّ، ثُمَّ أبو حَفصٍ المصريُّ القائدُ العَسكريُّ للقاعدَةِ.

أثارَ المُؤتمرُ الصَّحفيُّ ضجَّةً عالميَّةً طِبقًا لما دَرجَ عليه الإعلامُ الدُّوَليُّ مِن سياسةٍ جعلتِ ابنَ لادنَ في الصَّدارةِ المُطلقةِ.

كَما أثارَ المُؤتمرُ جُنونَ حركةِ طالبانَ، خاصَّةً الجَناح المُعارِض لابنِ لادنَ وقصَّتِه كلِّها، وبَدأتِ الفِتنةُ تَتململُ في كابول وقندهار، ووجدَ المُلَّا عُمَر نفسَه شِبهَ وَحيدٍ ومُتَّهمًا بالضَّعفِ والتَّقصيرِ أمامَ أتباعِه.

أعداؤُه أثاروا الشُّبهاتِ حولَ قضيَّةِ: مَن يَحكُمُ أفغانستانَ؟ هل هوَ ابنُ لادنَ أمِ المُلَّا عُمَر؟

وصلَ التَّساؤلُ حدَّ الإسفافِ حينَ قالتْ بعضُ أجهزَةِ الإعلامِ بأنَّ المُلَّا عُمَر شَخصيَّةٌ وهميَّةٌ لا وجودَ لها، ولم يُشاهدْها أحدٌ، وأنَّ ابنَ لادنَ هو الحاكمُ الحقيقيُّ لأفغانستانَ مِن خلفِ شخصيَّةٍ وهميَّةٍ تُدعَى المُلَّا عُمَر[1].

أمريكا تَعمَّدت تَهميشَ المُلَّا عُمَر والإيحاءَ بأنَّه غيرُ هامٍّ أو مُؤثِّرٍ، ثُمَّ رَكَّزت الأضواءَ وافتَعلتْ الأهمِّيَّةَ كلَّها لابنِ لادنَ، وفي الحَقيقةِ إنَّ هذه الصُّورةَ مَعكوسةٌ تَمامًا...

لقد صَنعت أمريكا كَعادتِها عدوًّا لا أقدامَ لَه ولا أجنحَةَ، ثمَّ ضخَّمتْه على شاشاتِ العَرضِ، ثمَّ قضَت عليه؛ لِتصنعَ أسطورَةَ

(١) يقول الصحفيُّ في قناة الجزيرة تيسير علوني في مقابلة مع موقع هافينغتون بوست في نسخته العربية: (إنَّ شخصية الملا عمر كانت تمثِّل الرُّجولةَ بأسمى معانيها، موضِّحًا أنه كان يتميَّز بقُدرته على ضبط غضبه، فقد أغضبه الأفغانُ العرب الذين كانوا في ضِيافته وعلى رأسهم ابن لادن، وكان قد أمَرَهم مرارًا بعدم اتخاذ أفغانستان منطلقًا لتنفيذ أية أعمال عسكرية خارجَ البلاد، ومع ذلك فقد خالفوا أوامره وضربوا السفاراتِ الأميركيَّةَ في كينيا وتنزانيا، فنبَّههم إلى ضرورة الالتزام بأوامِره، وضربوا المدمِّرةَ الأميركية «كول» في عدن عام ٢٠٠٠م، فأعاد تنبيههم، وأمَرَهم بعدم الإدلاء بتصريحات لوسائل الإعلام فخالفوا أوامِرَه، ومع ذلك صَبَرَ عليهم وصَفَح عنهم؛ جزاءَ سابقتِهم في الجهاد مع الأفغان ضدَّ السوفييت والحُكم الشيوعي، ولنتصوَّر أنَّ هذه الأمورَ حدثتْ مع حاكمٍ آخَرَ؛ فهل كان يضبط غضبه؟!) موقع الجزيرة نت، ١ آب ٢٠١٥م.

عظَمتِها المُزيَّفةَ.

وأخفَتْ شَخصيَّةَ عدوِّها الحَقيقيِّ، بل أنْكَرتْ وُجودَه أصلًا، ومِن خِلالِ القَضاءِ على الوَهمِ (ابنِ لادنَ) قَضتْ على الحَقيقةِ (المُلَّا عُمَر)، فهلْ هي عبقريَّةُ الذَّكاءِ الشَّيطانيِّ، أم غَباءُ الغفلةِ الإسلاميَّةِ؟؟

كانتْ شمسُ الشِّتاءِ تُشرقُ لامعةً فوقَ مُعسكرِ الفاروقِ، والصَّالةُ الكبيرةُ في مَبنَى الإدارةِ بالمُعسكرِ المُشيَّدِ بأَناقةٍ مِنَ الطُّوبِ الأحمرِ يَجري إعدادُها لاستقبالِ الصحفيِّينَ الَّذينَ تَوزَّعوا على الغُرَف الطِّينيَّةِ بِالمُعسكرِ انتِظارًا لانعِقادِ المُؤتمرِ. أمَّا ابنُ لادِنَ فكانَ فوقَ التِّلالِ تَحتَ إحدَى الأشجارِ الَّتي تكسُو المنطقةَ، وقدِ استغرَقَ معَ أحدِ أصدقائِه القُدماءِ في نِقاشٍ هادئٍ لكنَّه حارٌّ جدًّا (لقاء خاص بينَ ابنِ لادنَ والكاتبِ، وكان يَسكُنُ مدينةَ خوست وقتَها، واستَدعاهُ ابنُ لادِنَ لِحُضورِ المُؤتمرِ).

تَساءلَ الصَّديقُ القَديمُ إذا كان ما يَفعلُه ابنُ لادِنَ صَحيحًا مع أنَّه يَعصِي المُلَّا عُمَر الَّذي هوَ حاكمٌ شرعيٌّ تَجبُ طاعتُه؟

فأجابَ ابنُ لادنَ أنَّه إذا لم يَفعلْ ذلك، فلنْ يَنتبِهَ المُسلمونَ لِحَقيقةِ ضياعِ المُقدَّساتِ، ووُجوبِ جِهادِ أمريكا لإخراجِ جُيوشِها مِن جَزيرةِ العَربِ، وأنَّ ما يفعلُه هوَ منَ الجِهادِ المُتعيِّنِ الَّذي لا يجوزُ للإمامِ مَنعُه، ثُمَّ أضافَ بأنَّ المُلَّا عُمَر وحركةَ طالبانَ قدِ

استَفادوا مِن نشاطِه الإعلاميِّ، كما أنَّ حِمايتَهم له ولِمَن مَعه مِن العَرَبِ قد أكسَبَهم إعجابَ المُسلمينَ ومِصداقِيَّتَه لدَى الشُّعوبِ الإسلاميَّةِ، وهو ما لم يَكنْ مَوجودًا قبلَ ذلك، كانتْ حركةُ طالبانَ موضِعَ شكِّ المسلمينَ نَتيجةً لِدعاياتِ العَدُوِّ.

قال الصَّدِيقُ: إنَّ ما تَفعلُه الآنَ سوفَ يَتسبَّبُ في الإحراجِ للمُلَّا عُمَر أمامَ شَعبِه وحَركتِه، وسيُصيبُ الطَّالبانَ بالتَّمزُّقِ بينَ مُؤيِّدٍ لك ومُعارِضٍ، وسوف تَزدادُ الضُّغوطُ الدُّوَليَّةُ عَلى حُكومةِ طالبانَ الَّتي ما زالتْ ضعيفةً، بَينما ستَزدادُ المَعوناتُ والتَّأييدُ العَسكريُّ والسِّياسيُّ لِجَبهةِ الشَّمالِ المُحارِبةِ للإمارةِ الإسلاميَّةِ؛ كلُّ هذا يَستدعِي السَّيرَ البَطِيءَ والحَكيمَ في بَرنامَجِك حتَّى تَستقِرَّ أوضاعُ الإمارةِ، وبَعدَها سَوْفَ تَلقَى منها المُساعدةَ، وقدْ وَعَدكَ بذلكَ المُلَّا عُمَرُ في مُناسباتٍ عدَّةٍ. ثُمَّ إنَّه صاحِبُ الصَّلاحيةِ في وضعِ بَرنامجِ بِلادِه وحركَتِه، وعليكَ أن تُطيعَ قَرارَه بصِفَتِكَ مِن رَعايا هذه الإمارةِ أو أحدِ ضُيوفِها على الأقلِّ.

ثُمَّ تَساءلَ الصَّديقُ: هل إذا تَبادلتَ المواقعَ أنت والمُلَّا عُمَر، وعَقدَ هوَ ذلكَ المؤتمَرَ الصحفيَّ رَغمًا عن أوامرِك الصَّريحةِ والمُتكرِّرة، فهل كُنتَ تَقبلُ؟

فضَحِكَ وقالَ بكلِّ الصِّدقِ الَّذي هوَ أحدُ سَجاياهُ الحَميدةِ: لا، ما كُنتُ أَقبَلُ منه ذلكَ.

قال الصَّدِيقُ وبِكلِّ الصَّراحةِ الَّتي أكسبَتْه عَداوةَ كَثيرينَ: أمَّا أنا فَلو كنتُ في موقعِ أميرِ المؤمنينَ، ورَغمَ الصَّداقةِ القيِّمةِ الَّتي رَبطَتْنا في الجِهادِ، فإنِّي كُنتُ سأضَعُكَ في السِّجنِ.

ضَحِكَ ابنُ لادِنَ، ولكنْ بألَمٍ، ثُمَّ بإصرارِه الهادئِ العنيدِ مَضَى إلى مُؤتمرِه الصحفيِّ وقالَ ما شاءَ أن يقولَ.

المُلَّا غَوْثُ الدِّينِ وزيرُ الخارجيَّةِ السَّابقُ، وكان مُعارِضًا لابنِ لادِنَ تَمَّ تَحديدُ إقامَتِه في بَيتِه قُربَ قندهار لِمَسؤوليَّتِه عَن مأساةِ مَزار شريف، وحلَّ مَحَلَّه المُلَّا مُحمَّد حَسَن، وهوَ رأسُ الصُّقورِ المُعادِينَ لابنِ لادنَ خاصَّةً، وَللعَرَبِ الأفغانِ بشكلٍ عامٍّ، ومِن مُنطلَقٍ مَذهبيٍّ عَقائديٍّ، وكان رَجُلًا صريحًا فظًّا لا يُخفِي مشاعِرَه، ولكنَّه اضطُرَّ إلى كِتمانِها حتَّى أوشَكَ على الانفِجارِ نَتيجةً لضُغوطِ أميرِ المُؤمنينَ الَّذي أمَرَه بِشكلٍ قطعيٍّ أنْ لا يُثيرَ مَوضوعَ ابنِ لادِنَ مَعه أو في أوساطِ حركةِ طالبانَ؛ لأنَّ مَوقِفَه غيرُ مقبولٍ لَدَى الإمارةِ.

كان الوَزيرُ يَغلِي كالمِرجَلِ في كابول، وكانَ عَملُه الوَحيدُ تَقريبًا هو الجلوسَ في مقرِّ وزارتِه وتَلقِّيَ الوُفودِ مِن كلِّ لونٍ وجِنسٍ تَحمِلُ كلُّها شَكاوَى واقتِراحاتٍ ومَشاريعَ وتَحذيراتٍ وإنذاراتٍ تَدورُ حولَ ابنِ لادنَ فقطْ لا غَيْر.

أصبَحَ الجناحُ المُعارِضُ أوِ المعادِي لِتَواجُدِ ابنِ لادِنَ هوَ

جناحَ الأكثريَّةِ الصَّامِتَةِ المَغلوبَةِ عَلى أَمْرِها بِسُلطانِ الإمارةِ، وَمع هذا لم يُحاوِلِ ابنُ لادِنَ تَهدئةَ المَوقفِ، بل دَفعَه نحوَ التَّصعيدِ والتَّحدِّي، فعَقَد في نفسِ المنطقةِ -وبعدَ مُدَّة قَصيرةٍ جدًّا- لِقاءً مُتلفزًا مع قَناةٍ أمريكيَّةٍ)[1].

بَعد ذلكَ تحدَّثَ مُصطَفى حامِد عَنْ زِيارةِ رئيسِ الاستِخباراتِ السُّعوديَّةِ تُرْكي الفَيْصَل، يُرافِقُه السَّفيرُ السُّعوديُّ في أفغانِستانَ محمَّد العمري الَّذي كان مُقيمًا في إسلام أباد، حيثُ طالَبَ الأميرُ تُرْكي الفَيْصل المُلَّا عُمَر بِتَسليمِ ابنِ لادنَ ومَن مَعه، لكنَّ المُلَّا عُمَر رَفَضَ ذلكَ، وغادَرَ الأميرُ غاضبًا، وذلك في يوليو ١٩٩٨ م.

يقولُ مُصطفى حامِد: (المُلَّا عُمَر كان عَلى مَوعِد مع صَدمةٍ أُخرَى مع ضَيفِه السُّعوديِّ في عرب خيل (يعني ابنَ لادِنَ) الَّذي كان في قَرارةِ نَفسِه لا يَشعُرُ بأهليَّةِ أميرِ المُؤمنينَ لِأَنْ يَكونَ أميرًا عليه، أو لِأَنْ يَضَعَ سياساتِ الدَّولةِ، أو أنْ يُدركَ مُجرَّدَ إدراكٍ مصالِحَ المُسلمينَ.

السُّعودِيَّةُ الَّتِي تُعتَبَرُ أهمَّ الدُّوَلِ الَّتِي تَعترِف بنظامِ حُكمِ طالبان، تَتوعَّدُ الآنَ ليس فقط بسَحبِ الاعتِرافَ بها، ولكنْ بِطردِ جَميعِ الأفغانِ مِن أراضيها، وبِعدمِ الاعتِرافِ بِجَوازِ السَّفرِ الصَّادرِ مِن سُلطانِ طالبانَ، وبمعنًى آخرَ: إنَّ الإمارةَ الإسلاميَّةَ

(١) المصدر السابق، ص ١١٣-١١٥.

الأفغانيَّةَ لنْ تَستطيعَ مُساعدةَ رَعاياها في أداءِ فَريضةِ الحجِّ.

وَهذه مُشكلةٌ دينيَّةٌ للإمارةِ ولَيست فقطْ مُشكلةً سياسيَّةً، وقدْ يَتحوَّلُ الأمرُ إلى أزمةٍ داخليَّةٍ مُستعصيَةٍ تَجعلُ مِصداقيَّةَ الإمارةِ أمامَ القبائلِ في مهبِّ الرِّيحِ، فَقد لا يَقتنعُ الكَثيرُ مِن رجالِ القَبائلِ بأنَّ حِمايةَ ابنِ لادنَ تَستحقُّ التَّوقُّفَ عن أداءِ الحجِّ الَّذي هوَ أحدُ الأركانِ الخَمسةِ الإسلاميَّةِ، وكما هدَّدوا فعلًا فَقد تَصِلُ المسألةُ إلى أن تَضعَ السُّعوديَّةُ قَبائلَ الأفغانِ أمامَ خيارٍ مِن اثنَينِ: إمَّا أن تَرغِموا حكومةَ المُلَّا عُمَرَ على تَسليمِ ابنِ لادنَ، وإمَّا أن تَتوقَّفوا عن أداءِ فريضةِ الحجِّ عندَنا.

الحلُّ المُتاحُ أمامَ المُلَّا عُمَرَ الَّذي لم يكُنْ أمامَه الكثيرُ مِنَ الخِياراتِ، وحتَّى لا يُضطَرَّ في لَحظةٍ ما أن يُضحِّيَ بأُسَامةَ بنِ لادنَ ويَقذِفَه خارجَ القارِبِ الأفغانيِّ المُتهالِكِ إلى جَوفِ الأمواجِ الأمريكيَّةِ السُّعوديَّةِ الهادرَةِ: كان إقناعُ ابنِ لادنَ بالتِزامِ الهُدوءِ حتَّى تَستقِرَّ أوضاعُ أفغانستانَ بِنظامِها الجَديدِ، وبَعدَها يَستطيعُ هو (المُلَّا عُمَر) أن يُسانِدَ ابنَ لادِنَ وقضيَّتَه بشكلٍ أفضلَ مِمَّا يَستطيعُه الآنَ.

بعدَ الزِّيارةِ الاستفزازيَّةِ لِمُديرِ الاستِخباراتِ السُّعوديَّةِ، أيْقنَ كبارُ مُستشاري المُلَّا عُمَرَ أنْ لا حلَّ سِوَى استِخدامِ لُغةِ الحزمِ مع ابنِ لادنَ، فإمَّا أن يَصمُتَ نِهائيًّا بالقوَّةِ الإداريَّةِ، وإمَّا أن يَخرُجَ مِن البلادِ إلى أيِّ مكانٍ يُريدُ.

لم يُحبِّذِ المُلَّا استخدامَ لُغَةِ التَّهديدِ والإجبارِ مع ابنِ لادنَ، وكان وَحيدًا في ذلك الرَّأيِ، فقرَّر الذَّهابَ شَخصِيًّا إلى ابنِ لادنَ في قريةِ (عرب خيل)، وأن يَرجُوَه بشكلٍ أَخَوِيٍّ أنْ يَلتزِمَ الهُدوءَ حتَّى يَستطيعَ المُلَّا عُمَرُ الخُروجَ بِسلامٍ مِنَ العواصفِ العاتيَةِ الَّتي تُحيطُ بالإمارةِ، وبَعدَها سيكونُ لكلٍّ حادثٍ حديثٌ...

وَصَل المُلَّا عُمَرُ مع عددٍ مِن كبارِ مُستَشارِيه، ومِن بينِهم الشَّابُّ الَّذي تَولَّى لاحقًا مَنصبَ وَزيرِ الخارجيَّةِ (مَولوي وكيل أحمد متوكل)[1]، وبِرفقتِهم عددٌ محدودٌ مِنَ الحُرَّاسِ.

في ظلِّ عَرِيشٍ خلفَ أحدِ بُيوتِ القريةِ، دارَ الحديثُ الَّذي حضَره أيضًا عددٌ مَحدودٌ مِن كِبارِ أركانِ القاعدةِ، وبدأَ المُلَّا يَشرَحُ أسبابَ ونتائِجَ زيارةِ الأميرِ السُّعوديِّ، والمَصاعِبَ والأخطارَ الَّتي تُواجِهُها الإمارةُ، وفي الأخيرِ رجاءٌ شخصيٌّ حارٌّ بوقفِ النَّشاطِ الإعلاميِّ حتَّى يَقضِيَ اللهُ أمرًا كان مَفعولًا.

وكان المُلَّا عُمَرُ لا يَتوقَّع ردًّا آخرَ سِوَى القَبولِ؛ إنْ لم يَكُنْ تَقديرًا لظُروفِ الإمارةِ، فعلى الأقلِّ احترامًا لِمجيئِه شَخصيًّا وتقديمِ الطَّلبِ في صورةِ رجاءٍ، وقدْ كان قادرًا على فَرضه

(١) يقول مصطفى حامد: (كان الوزير من صقور المتشدِّدين الذين يُطالبون الإمارةَ بموقف حازم من تجاوزات ابن لادن، وهو ما يتصادَم مع موقف الملا محمد عمر المتسامِح والصبور؛ من أجْل هذا كان متوكل أوَّلَ المستقيلين من الوزارة عند نشوب الحرب على اعتبار أنه حذَّر من تلك العاقبة)، (ص ١٩٢ من كتاب صليب في سماء قندهار).

إداريًّا، وبدونِ أن يُغادِرَ مَقَرَّه في الإمارةِ.

بِهدوءٍ بدأَ ابنُ لادنَ في سردِ تَفاصيلِ دَعوتِه وشَرعيَّتِها، شارحًا أدلَّتَه في أنَّها مِنَ (الجِهادِ المُتعيِّن) الَّذِي لا يَملِكُ الإمامُ حقَّ إيقافِه، وأنَّه (ابنَ لادنَ) لن يُوقِفَ جِهادَه في هذا السَّبيلِ مَهْما كلَّفه الأمرُ، وطَلَبَ بأن تُعرَضَ الخُصومةُ بينَه وبينَ أميرِ المُؤمنينَ حولَ هذا المَوضوعِ أمامَ لَجنةٍ قَضائيَّة مِنَ العُلماءِ لِتَحكُمَ فيه، ثُمَّ تَرقرقَتْ عَيْناه بالدُّموعِ وتَحَشْرَجَ صوتُه وهوَ يَقول: إذا كانَ قد صَعُبَ عليكُم حِمايتُنا على أرضِكُم، فإنَّنا نَترُكُ لَديكُم النِّساءَ والأطفالَ، ونَخرُجُ نحنُ للجِهادِ مِن مكانٍ آخَرَ .

كانت الجُملَةُ الأخيرةُ لطمَةً ثانيةً قاسِيَةً في وَجهِ المُلَّا؛ لأنَّها اتِّهامٌ صريحٌ له ولِمَن معه بالجُبنِ والنُّكوصِ عنِ الجِهادِ.

انصَرفَ المُلَّا عُمَرُ ومَن مَعه عائِدينَ إلى المَدينةِ، وقد أُصِيبَتِ العلاقةُ بينَ الطَّرَفَيْنِ بِشرخٍ لم تُشفَ منه أبدًا، وسادتِ القَطيعةُ التَّامَّةُ بَينَهما أَشهُرًا طويلةً، ولم تَهْدأْ خِلالَها الوَساطاتُ الخيِّرةُ في تَرميمِ بعضِ الخُيوطِ المقطوعةِ حتَّى نَجَحوا في إصلاحِ شيءٍ مِنها، وظلَّ الجُزءُ الأكبرُ مِنَ العلاقةِ والوُدِّ القَديمِ والثِّقَةِ مُهدَّمًا مِثلَ أطلالِ قريةٍ أفغانيَّةٍ دمَّرتْها الطائراتُ)[1].

بعدَ ذلكَ ذَكَرَ مُصطفى حامِد نصَّ الحوارِ الأخيرِ الَّذي دار

(١) صليب في سماء قندهار، ١١٨-١٢٠.

بَينَه وبينَ ابنِ لادِنَ، وفيه قال ابنُ لادنَ: (**لستُ مُبالِغًا، عِندِي لَهُم ضربةٌ كبيرةٌ ستكونُ ضحاياهم ليس بالمِئاتِ، بل بالآلافِ**).

ومِمَّن حضَرَ اللِّقاءَ: الظَّواهريُّ، وأحدُ أتباعِ ابنِ لادنَ مِنَ السُّعوديَّةِ[1].

في كتابِه الآخَرِ (السَّائرونَ نِيامًا) يَروِي مُصطفى حامِد كَيْفَ تَردَّد ابنُ لادنَ في بَيعةِ المُلَّا محمَّد عُمَر، وَهذا التَّردُّدُ -بِحَسَبِ مُصطفى- كان مُرتبِطًا برغبةِ ابنِ لادنَ في التَّهرُّب مِن أيِّ وَثَاقٍ قد يُعيقُه عنِ العملِ، يَقولُ:

(في خريف ١٩٩٨م تقدَّمتُ باقتراحٍ إلى أبي عَبدِ اللهِ أسامةَ بنِ لادِنَ في حُضورِ الشَّهيدِ أبي حَفصٍ وبَعضِ المُقرَّبينَ إلى ابنِ لادنَ، يقولُ الاقتراحُ: إنَّه طالَمَا نَحْنُ -العربَ- نَعِيشُ في إمارةٍ إسلاميَّةٍ لها أميرٌ هو موضِعُ إجماعِ القبائلِ، فلِماذا لا يكونُ هوَ أيضًا أميرًا لكلِّ العَرَبِ، ونَستغنِي عن كلِّ هذه الجَمَاعاتِ العربيَّةِ المُتنافِسَةِ دَوْمًا والمُتناحِرَةِ أحيانًا... أمَّا دَعوتِي لهم إلى بَيعةِ أميرِ المؤمنينَ فكانتْ مُفاجأةً لم يَتوقَّعْها أحدٌ، فظَهَرتِ الدَّهشةُ على الوُجوه، وكان ردُّهمُ الَّذي أجمَعوا عليه والَّذي أدْهَشني بنفسِ الدَّرجةِ: هوَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ حاكِمٌ خاصٌّ بالأفغانِ، وأنَّ الأفغانَ لا يَقبَلُونَ أن يُبايعَه أحدٌ غيرُهم.

(١) المصدر السابق، ص ١٩٤.

اختَلفْنا في هذه النُّقطةِ، فقُلتُ لَهم بأنَّني ذاهبٌ إلى المُلَّا جليل نائبِ أميرِ المؤمنينَ للتَّأكُّدِ مِن هذه النُّقطةِ بنَفسي، ثمَّ آتِي لهُم بالخبرِ اليقينِ، نَفَى المُلَّا جليل ما يَقولُه العرَبُ، وقال بأنَّ أيَّ شخصٍ يُمكنُه مُبايعةُ أميرِ المؤمنينَ.

ذَهبتُ بالنَّتيجةِ إلى أبي عَبدِ اللهِ ظانًّا أنَّ اللَّبسَ قد زالَ، لكنَّه والَّذينَ مَعه طالبوا بِمزيدٍ مِنَ التَّفكيرِ.

استَغرقَ الأمرُ أسابيعَ، فشَعرتُ بالغَضبِ لِهذا التَّردُّد غيرِ المُبرَّر، بَينما وَضعُنا العَربيُّ الفَوضويُّ قد يَجلِبُ كارثةً على الإمارةِ الإسلاميَّةِ في أيِّ لحظةٍ.

للتَّملُّصِ مِن هذه الغضباتِ والضُّغوطِ، لَجَأَ أبو عبدِ اللهِ إلى حِيلَةٍ جَديدةٍ لكَسبِ الوَقتِ، وقال: إنَّه -ومعه الإخوة- قد طَلَبوا وَفدًا مِن عُلماءِ باكستانَ لِمُشاورتِهم في الأمرِ، وأنَّ ذلك يَستغرقُ بعضَ الوقتِ.

شَعرتُ بأنَّهم مُتهيِّبون جدًّا مِن مَوضوعِ البَيعةِ، وأنَّهم رُبَّما يَرغبونَ في بثِّ اليأسِ في نفسي فأَترُكُ ذلكَ الموضوعَ وأسكتُ عنه.

عندَما أدرَكتُ السَّببَ الحقيقيَّ للمُماطلةِ والتَّهيُّبِ مِنَ البَيعةِ، كانَ الوقتُ قد تأخَّر جدًّا، كان السَّببُ يَتعلَّقُ برَغبتِهم في إبقاءِ يَدِهم طَليقةً في العَمليَّاتِ الخارجيَّةِ بدونِ تدخُّلٍ مِن الإمارةِ.

استمرَّ إلحاحي على أبي عَبدِ اللهِ أنْ يكونَ هو أوَّلَ عربيٍّ يُبايعُ المُلَّا عُمَرَ؛ لأنَّ ذلكَ سوفَ يُحسِّن العلاقةَ بينَه وبينَ الرَّجُلِ، وقد كان التَّوتُّر يَزدادُ يومًا بعدَ يومٍ وإن كان مَكتومًا، حيثُ يَتذرَّعُ المُلَّا عُمَرُ بالصَّبرِ، ويَتذرَّع أبو عبدِ اللهِ بِعصيانِ الأوامرِ بطَريقةٍ التِفافيَّةٍ تُثيرُ الغَيظَ؛ لأنَّها تُوجِّه إهانةَ الاستِخفافِ بالطَّرَفِ الآخرِ، خاصَّةً وأنَّه الأميرُ الحَقيقيُّ مُفترَضُ الطَّاعةِ.

كانتْ ضَربةُ أفريقيا ضِدَّ السِّفارتَينِ الأمريكيَّتينِ قد وَقعتْ بالفِعلِ، وأعْقَبَها ضَربُ المُعسكراتِ في خوست بِصَواريخِ كروزِ الأمريكيَّةِ، بَينما العلاقاتُ بين الرَّجُلينِ قَريبَة مِنَ الصِّفرِ.

وبِشأنِ البَيعةِ، ظلَّت المُشاوراتُ الدَّاخليَّةُ مُستمرَّةً بينَ أبي عبدِ اللهِ وكبارِ مُساعديه وكِبارِ تَنظيمِ الجِهادِ المَصريِّ (وَكانوا الأشدَّ مُعارضةً بشأنِ البَيعةِ وتَشكيكًا، وكانَ أبو حَفصٍ المِصريُّ أقربَ إلى مَوقِفِهم).

أمَّا مَن تَواجَدَ مِن تَنظيمِ الجَماعةِ الإسلاميَّةِ فكانوا أكثرَ عُذوبةً يَنتظِرونَ فَتاواهُم أن تَأتيَ مِن أماكِنَ بعيدةٍ جدًّا، لا يَدري أحدٌ مَتى تَأتي؟ أو هلْ تَأتي بالفِعل أم لا؟ فإذا حَضروا جَلساتٍ مِن هذا النَّوعِ لِبَحثِ البَيعةِ كانوا يَتكلَّمونَ بكلِّ خيرٍ وهُدوءٍ، وآخِرُ شيءٍ يُمكنُ تَوقُّعُه مِنهُم هو أن يَكونَ لَهم مَوقفٌ واضحٌ في أيِّ شيءٍ.

جَماعاتُ الشَّمالِ الإفريقيِّ كان أكثرُها تَسامُحًا يرَى أنَّ الإمارةَ الأفغانيَّةَ (مُشرِكةٌ)، والواجِبَ هوَ الانتِظارُ حتَّى تَتَّضحَ الرُّؤيةُ.

أمَّا مُتشدِّدو الشَّمالِ الإفريقيِّ فمَوقفُهم مَفهومٌ وسهلٌ ومُمتنِعٌ، يَبدأُ مِن تَكفيرِ الإمارةِ، ويَنتهي بِتكفيرِ مَن حولَها مِنَ العَربِ السَّاكنينَ فيها.

طالَ الأمرُ أكثرَ ممَّا يَنبَغي، وإحدى زياراتي المَكُّوكيَّةِ إلى قندهار وَجدتُ مُستشارِي أبي عبدِ اللهِ يَعودونَ بي إلى نُقطةِ الصِّفرِ مرَّةً أخرى، قائلينَ: إنَّ بَيعةَ أميرِ المُؤمنينَ غيرُ مُتاحةٍ لِغيرِ الأفغانِ، وكان ذلكَ رأيَ ابنِ لادنَ أيضًا، فقُلتُ: إنَّني سأذهبُ وأجُرِّب بِنَفْسي وأطلبُ مُبايعةَ الرَّجلُ).

ثمَّ يَروي مُصطفى حامِد قصَّةَ بَيعتِه للمُلَّا عُمَرَ يومَ الاثنين ١٤ رجب ١٤١٩هـ، الموافق ٢ نوفمبر ١٩٩٨م.

يواصِلُ مصطفى حامِد: «تَواصلَتْ زياراتي لِقندهار، وشُعوري بِخُطورةِ المَوقفِ وخُطورةِ المَوضوعِ جَعلَني أُواصلُ الإصرارَ والمُتابعةَ، وكأنَّ أبا عبدِ اللهِ شعرَ بالمَللِ والإحراجِ، فَقامَ مَعي لِيوصِّلَني إلى بابِ المجمعِ أثناءَ مُغادرتي، وكنَّا مُنفردَيْنِ، فقالَ بِصوتٍ مُنخفِضٍ: إنَّه يوافقُ على بيعةِ أميرِ المُؤمنينَ. وطَلب مِنِّي أن أُحدِّدَ مَوعدًا لذلكَ».

فطلَبَ مُصطفى حامِد مُقابلةَ المُلَّا عُمَرَ، وحدَّد مَوعدًا، لكنَّ أسامةَ بنَ لادنَ لم يَحضرْه.

يقولُ مصطفى حامِد: (توجَّهتُ بالسُّؤالِ إلى أبي عَبدِ اللهِ عَن أخبارِ الأمسِ، وكيفَ سارت الأمورُ مع المُلَّا عُمَرَ، فقال: إنَّه لم يذهبْ إليه.

شَعرتُ أنَّ صخرةً قد هَوت فَوقَ رأسي مِن فوقِ جبلٍ مُرتفعٍ، وسألْتُه في ذُهولٍ: كيفَ؟ ولِماذا؟

فردَّ قائلًا باقتِضابٍ: إنَّه يشعرُ بالحاجةِ إلى مَزيدٍ منَ التَّفكيرِ.

قُلتُ له: إنَّ ذلك سيَتركُ أثرًا غايةَ السُّوءِ في نفسِ المُلَّا عُمَرَ، وسيتأكَّدُ لدَيْه شُعورٌ مَوجودٌ بالفِعلِ، وهوَ أنَّك تَتكبَّرُ عليه، وتَرَى نفسَكَ أكبرَ وأهمَّ، وذلك سيَكون سيِّئًا للغايةِ في مَوقفِ الإمارةِ منكَ، بل ومِن كلِّ العربِ؛ لأنَّهُم يظنُّونَ العَربَ كتلةً واحدةً كما هيَ قبائلُ أفغانِستانَ، وأظنُّ أنَّنا في ورطةٍ جدِّيَّةٍ، ولا بدَّ مِن تَحسينِ المَوقفِ مِن الرَّجلِ بعدَ أن ساءتِ الأمورُ أكثرَ مِن أيِّ وقتٍ مَضى.

وكأنَّ أبا عبدِ اللهِ شعرَ بِجدِّيَّةِ المَوقفِ، فطَلب منِّي أن آتِيَه عَصرًا، في تلكِ الجلسةِ المسائيَّةِ أخبَرني أبو عبدِ اللهِ أنَّه قرَّر بالفِعلِ أن يُبايعَ أميرَ المُؤمنينَ، وطلَب منِّي أن أقومَ بتلكَ البَيعةِ نِيابةً عَنه.

دارَ بَينَنا نقاشٌ طَويلٌ، فقد كُنتُ أرَى ضَرورةَ ذَهابِه شَخصيًّا؛ حتَّى تَزولَ تلكَ التَّرسُّباتُ الضَّارَّة في العلاقةِ الَّتي تَراكمَ بعضُها فوقَ بعضٍ، خاصَّةً بعدَ تَخلُّفِه الأخيرِ عنِ المَوعدِ، والَّذي يُعتبَر إهانةً قويَّةً، وقد كُنتُ بالفِعلِ أخشَى أنْ يرفُضَ المُلَّا عُمَرُ بَيعةَ أبي عبدِ اللهِ، وأنْ أتلقَّى بنَفسي صدمةَ الإهانَةِ).

(أدَّيتُ له البَيعةَ بالنِّيابةِ عَن أبي عبدِ اللهِ، وخرجْتُ مِن عِندِه مُسرعًا، وكأنَّني أزَحْتُ صخْرةً ثَقيلةً مِن على صَدري، أو كأنَّني خَشيتُ أن يَتراجعَ المُلَّا عُمَرُ عن مَوقفِه ويَرفُضَ البيعةَ.

في عام ٢٠٠٠م تَحسَّنتِ العلاقةُ نِسبيًّا بينَ الرَّجلَينِ، وقامَ أبو عَبدِ اللهِ بزيارَةِ المُلَّا عُمَرَ في مَقرِّه الجَديدِ، ولكنْ على وَجهِ العُمومِ استمرَّ أبو عبدِ اللهِ في نفسِ مَسيرتِه القَديمةِ، وخالَفَ التَّعليماتِ الأساسيَّةَ لأميرِ المُؤمنينَ، والَّتي تَتلخَّصُ في بَندَيْنِ رَئيسَيْنِ مع بَعضِ الفَرعيَّاتِ الأخرى.

الأساسيَّاتُ كانتِ التَّوقُّفَ عنِ اللِّقاءاتِ الصحفيَّةِ والتِّلفزيونيَّةِ، مع حظرِ أيِّ ضربةٍ عَسكريَّةٍ ضدَّ الولاياتِ المتَّحدةِ؛ لأنَّ باكستانَ هدَّدت بالتَّدخُّلِ المُباشرِ ضدَّ الإمارةِ إذا حَدثَ مِثلُ ذلك الأمرِ، وهو ما لا يُمكنُ احتِمالُه في ظُروفِ الإمارةِ الحاليَّةِ، وإلى أن تَتمَّ السَّيطرةُ على المَناطقِ الباقيةِ تحتَ حُكمِ التَّحالُفِ الشَّماليِّ المُعارِضِ.

أمَّا الضَّرباتُ ضدَّ إسرائيلَ فإنَّ الإمارةَ تُؤيِّدُها، ومُستعدَّةٌ لتحمُّلِ تَبعاتِها إلى جانبِ العَربِ (وكانَ ذلكَ المَوقفُ في أثناءِ انتِفاضةِ المسجدِ الأقصى في أواخِرِ عام ٢٠٠٠م).

ولكن يَبْدو أنَّ أبا عَبدِ اللهِ كان قد مَضى بَعيدًا في الإعدادِ لِضربةِ سِبتمبر ٢٠٠١م، والَّتي لم يكنْ أحدٌ يَدري بِها تَفصيلًا سِوَى ثَلاثةِ أفرادٍ مِنهُم أبو عبدِ اللهِ نفسُهُ، ثمَّ عددٌ مَحدودٌ لا يَزيدُ عنِ اثنينِ أو ثلاثةٍ يَعلمونَ على وَجهِ اليَقينِ أنَّ هناكَ ضربةً عسكريَّةً كبيرةً ضدَّ هدفٍ أمريكيٍّ غيرِ مَعلومٍ بالتَّحديدِ.

وخارجَ الدَّائرةِ الضَّيِّقةِ الأُولى، ثمَّ الدَّائرةِ الضَّيِّقةِ الثَّانيةِ، لم يكنْ أيُّ أحدٍ آخرَ يَدري بِما يَدور، وطَبعًا على رأسِ هؤلاءِ الَّذين لا يَعلمونَ كان المُلَّا عُمَرُ الَّذي وقعَتْ فوقَ رأسِه كُلُّ التَّبعاتِ المُدمِّرةِ لِما حدثَ؛ إذ سَقَطتْ إمارَتُه معَ سُقوطِ المَباني التِّجاريَّةِ في نيويورك.

وبالطبعِ كُنتُ في صَدارةِ الَّذين لا يَعلمون، ولو أنَّني عَلِمتُ لَمَا دَفعتُ بكلِّ تلكَ القوَّةِ لإتمامِ بَيعةِ أبي عبدِ اللهِ للمُلَّا عُمَرَ؛ لأنَّها كانت في الواقعِ عَمليَّةُ تَضليلٍ لأَميرِ المُؤمنينَ لصَرفِ نَظرِه عن عَملٍ خطيرٍ يُحاكُ مِن وراءِ ظَهرِه، ويَتعدَّى على صَميمِ اختِصاصِه كَحاكمِ البلادِ، ويتَعدَّى على مَصيرِ وحياةِ شعبِه الَّذي كان على وَشكِ التَّعرُّضِ لِمَجزرةٍ أمريكيَّةٍ واحتلالٍ أمريكيٍّ أُورُبِّيٍّ أقسَى وأشدَّ مِن الاحتلالِ السُّوفييتيِّ الَّذي لم يَكدْ يَرحلُ عنِ البلادِ.

وَرَدَ في ذِهني سؤالٌ بعد فَواتِ الأوانِ: لِماذا أصرَّ أبو عبدِ اللهِ على أن تَكونَ بَيعتُه للمُلَّا عُمَرَ بالنِّيابةِ وليس مُباشرةً؟

فخَطَر لي أنَّه وفَّر لنَفسِه هامشًا أكبرَ للمُناورةِ عندَ سُؤاله عَن تلكَ البَيعةِ عمَّا إذا كانت تَمَّت بالفِعلِ أم أنَّها لم تَتمَّ؛ فإذا استَدعى الأمرُ نَفيَها قال: إنَّه لم يُبايعْ، وكان صادقًا في ذلكَ لأنَّه لم يُبايعْ شَخصيًّا، وإذا استَدعى الأمرُ إثباتَ البَيعةِ قال: إنَّه بايَعَ، وكان صادقًا أيضًا لأنَّ البيعةَ وقعتْ بالفِعلِ ولكن بالنِّيابةِ)[1].

وقد تَحدَّث أبو مُصعبٍ السُّوريُّ بِكلامٍ أوضحَ فيه – باستياءٍ – إعراضَ المَجاميعِ الإسلاميَّةِ الَّتي هاجرتْ إلى أفغانِستانَ أواخرَ القرنِ العِشرينَ عنِ التَّوحُّدِ حولَ رُؤيةٍ جِهاديَّةٍ سياسيَّةٍ.

يقول: (اجتَمع في أفغانِستانَ في ظلِّ طالبانَ منذُ مَطلعِ ١٩٩٧م عددٌ لا بأسَ به مِن أبرزِ كَوادرِ التَّيَّارِ الجِهاديِّ؛ مِن قياداتِ التَّنظيماتِ، والشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ، وطُلَّابِ العلمِ، وأَصحابِ الخِبرَةِ والرَّأيِ والدِّرايَةِ فيه مِن مُختلَفِ الأقطارِ العربيَّةِ. وكان جوُّ الأمنِ والبُحبوحَةِ والاسترخاءِ وكلِّ مُعطَياتِ الأجواءِ المُناسبةِ فُرصةً تاريخيَّةً وذَهبيَّةً لكي يَتفكَّرَ أولئكَ

(١) السائرون نيامًا ص ٢٣-٣١ باختصار، وفي كتابه (صليب في سماء قندهار) ذكر مصطفى حامد الحوارَ الأخير الذي دار بينه وبين أسامة بن لادن (أواخر آب ٢٠٠١م) حول تصريحاته الهجوميَّة ضِدَّ الولايات المتحدة، التي سبقتْ هجمات ١١ أيلول، وفي ذلك النقاش الحادِّ قال ابن لادن: «لستُ مبالغًا، عندي لهم ضربةٌ كبيرةٌ ستكون ضحاياهم ليس بالمئات، بل بالآلاف» ص ١٩٤.

الرِّجالُ في حَلحلةِ تلكَ الأزماتِ، والخُروجِ بِتَصوُّراتٍ تُشكِّل بِدايةَ مَرحلةٍ جَديدةٍ مِن الانطلاقِ، فقدِ اعتَرفَ الجَميعُ بِوُجودِ الأَزماتِ وضَرورةِ التَّطلُّعِ إلى حلِّها، وتُعتبَرُ المُدَّةُ الَّتي قَضَيناها إذْ ذاكَ وهي زُهاء ٥ سنوات، كانتْ كافيةً نسبيًّا لِتَحقيقِ عَمليَّةِ إعادةِ البناءِ.

ولكنَّ المُفاجأةَ كانت في أنَّ (الفِكرةَ القُطريَّة) و(الحِزبيَّةَ التَّنظيميَّةَ) بَرَزَتْ لِتُسيطِرَ على المَرحلةِ الجَديدةِ أيضًا عبرَ مُعسكراتٍ ومَضافاتٍ وجَماعاتٍ بَنَت تَصوُّراتِها على أساسٍ (قُطريٍّ - سرِّيٍّ - هرميٍّ) مرَّةً ثانيةً، حيثُ جَعلت مُعظمُ التَّنظيماتِ هَدفَها هوَ نفسُ الهدفِ الَّذي أثبتَتِ الأيَّامُ منذ ١٩٩٠م، وعلى الأبعَدِ منذُ ١٩٩٥م، وَما جرَى في الجَزائرِ وغيرِها: استِحالةُ تَحقيقِه في ظلِّ النِّظامِ العالَمِيِّ الجَديدِ.

ولَستُ هنا بِصددِ التَّفصيلِ عنِ المَرحلةِ، **ولكن أُشيرُ هُنا إلى أنَّ تلكَ العقليَّةَ (القُطريَّةَ - الحِزبيَّةَ - التَّنظيميَّةَ) أضاعتْ فُرصةً ذهبيَّةً على التَّيَّارِ الجِهاديِّ.**

ولم يَستطعْ دُعاةُ الفِكرةِ الأُمميَّةِ في المواجهَةِ -لا الشَّيخُ أسامةُ والقاعدةُ ولا غيرُه- إقناعَ تلكَ الشَّرائحِ والكَوادرِ باقتِناصِ الفُرصةِ، وضمِّ الجَمعِ في حالةٍ موحَّدةٍ أو تَنسيقيَّةٍ على الأقلِّ.

ورَغمَ أنَّ الشَّيخَ أسامةَ كان المُرشَّحَ الأساسيَّ لإقناعِ الآخرينَ

بذلك، إلَّا أنَّه فَشِلَ في ذلك، وذلك لِأسبابٍ عَديدةٍ كان مِن أهمِّها: تَصوُّراتُهم القُطرِيَّةُ والتَّنظيميَّةُ مِن جهةٍ، وافتِقارُ القاعدَةِ للمَنهجيَّةِ الواضحَةِ بِحَسبِ مَقاييسِ الجِهاديِّينَ، وكذلكَ عدَمُ وُضوحِ البِنيةِ المُؤسَّساتيَّةِ فيها. فكان هذينِ العامِلَينِ أهمَّ العَواملِ في ضياعِ تلكَ الفُرصةِ.

فقد كانَ مِنَ المُمكنِ أنْ تَقومَ جُهودٌ لِمُراجعةِ المَناهجِ والأساليبِ والأهدافِ والوسائلِ في ظلِّ فَهمِ الواقعِ الجَديدِ، مُستغِلِّينَ الظُّروفَ المُواتيةَ، والالتِفافَ جَميعًا حولَ مَشروعيَّةِ أميرِ المؤمنينَ (المُلَّا محمد عمر) ورَمزيَّةِ الشَّيخِ أسامةَ العالميَّة، ولكنَّ ذلك لم يحصُلْ، وفَشِلتْ جَميعُ الجُهودِ السَّاعيةِ في ذلك والَّتي قام بِها البعضُ منَ المُستقلِّينَ الَّذينَ كُنتُ واحدًا منهُم، حيثُ دَعوتُ كِبارَ القومِ ولِأكثرَ من مرَّةٍ في عدَّةِ مُناسباتٍ لإقناعِهم بذلك، دونَ جَدوى)[1].

لقد أطاحَتِ الحِزبيَّةُ والعقليَّةُ الاستبْداديَّةُ لِتَنظيمِ القاعدَةِ بِزَعامةِ ابنِ لادنَ بالفِكرةِ الحيَّةِ القائمَةِ والإنجازِ الكَبيرِ (الإمارة الإسلاميَّة بقيادَةِ طالبانَ) لِصالحِ الفِكرةِ الخياليَّةِ الحالِمَةِ والَّتي لا تَملِكُ أيَّ مُقوِّمٍ مِن مُقوِّماتِ النَّجاحِ.

كان قناعَةُ أصحابِ الفكرةِ كافيةً لِتَرجمَتِها إلى واقعٍ، لكنَّه واقعٌ مُدمِّرٌ لكلِّ الإنْجازاتِ والمَكاسِبِ والمَشاريعِ القائمَةِ.

(١) دعوة المقاومة الإسلامية، ص ٨٠٢-٨٠٣.

مِثلُ هذه القَراراتِ المَصيريَّةِ الَّتي تَفرَّد باتِّخاذِها أشخاصٌ وتَركتْ أثرَها على مَصائرِ شُعوبٍ كاملةٍ، تكرَّرت في العِراقِ عندَ إعلانِ الحربِ على الشِّيعةِ عام ٢٠٠٥م، وفي إعلانِ الدَّولةِ عام ٢٠٠٦م، وفي تَأسيسِ داعشَ عام ٢٠١٣م.

وكَما أسلفْنا سابقًا، فإنَّ النَّظرةَ للمَناهجِ الإسلاميَّةِ بارتيابٍ وشكٍّ، والمُسارعةَ إلى التَّقليلِ مِن شأنِ الأُطروحاتِ المُخالفةِ لفكرةِ الجِهادِ العالميِّ، ثمَّ الجُنوحَ نحوَ الاتِّهاماتِ والمُزايداتِ؛ كل هذه هيَ الَّتي ولَّدتِ الجُرأةَ عندَ رِجالاتِ القاعدةِ للمُضِيِّ فيما يَرَوْنَ دونَ تَحسُّبٍ للتَّبِعاتِ والنَّتائجِ.

◈ الجِهادُ في العراقِ وحِزبيَّةُ قيادةِ القاعدَةِ

شَخصيَّةُ الزَّرقاويِّ الَّتي غلَبَ عليها طبعُ الشِّدَّةِ والتَّصلُّبِ وعدمِ القُدرةِ على سَماعِ الآخَرِ وتَفهُّمِ مَوقفِ المُخالفِ، كانتْ مُهيَّئةً لِصناعةِ حالةٍ استبْداديَّةٍ جَديدةٍ في سياقِ تَجاربِ القاعدَةِ.

وَفْقًا لِسياسةِ الزَّرقاويِّ وشَخصيَّتِه وطَبيعتِه، فإنَّ الخِلافَ بينَ القاعدَةِ والفصائلِ العراقيَّةِ لم يكُنْ أمرًا مُستغرَبًا، ولا أعني الخِلافَ المَنهجيَّ بينَ الفَصائلِ الإسلاميَّةِ المُعتدلةِ والقاعدَةِ، وإنَّما بينَ جماعةِ أنصارِ الإسلامِ الكُرديَّةِ الَّتي تَعتمِدُ نفسَ النَّهجِ الفِكريِّ للقاعدَةِ، وبَينَ تَنظيمِ الزَّرقاويِّ.

كانت الانتِقاداتُ للقاعدَةِ (في عهدِ الزَّرقاويِّ وما بَعدَه) تَتصاعَدُ،

والشَّكوَى مِن تَجاوُزاتِه وسياساتِه تَتزايدُ، إلَّا أنَّ القيادةَ العامَّةَ لم تَتَّخذْ أيَّ إجراءٍ رادعٍ، ولم تَتعاملْ بِحزمٍ مَع طَيْشِ أتباعِها في العراقِ.

كان الصَّمتُ واللَّامبالاةُ يُشيرُ إلى حِزبيَّةِ القاعدَةِ في تَعامُلِها معَ التَّنظيماتِ الجِهاديَّةِ، وانحيازِها إلى جانبِ أتباعِها دونَ تَحرٍّ لحقيقةِ ما يَجري ودُونَ السعيِ لإنقاذِ الجِهادِ منَ التَّلاعُبِ والعبثِ والتَّصرُّفاتِ المُتهوِّرةِ.

لم تكتفِ القاعدَةُ بالسَّلبيَّةِ تِجاهَ الانتِقاداتِ والشَّكاوَى ومُناشداتِ التَّدخُّلِ مِن قِبَلِ الفَصائلِ العراقيَّةِ، وإنَّما هاجَمت مُخالِفِي القاعدَةِ ونَصرَتْ أتباعَها واستَصوبَتْ ما يَرَونَ، وشكَّكتْ في مَقالاتِ المُخالِفِينَ ودَوافعِهِم، وكالعادةِ فإنَّ التُّهمةَ الجاهزَةَ الَّتي تَبْرُزُ لِمُواجهةِ هذا التَّحدِّي هي الانقِلابُ على المَشروعِ الجِهاديِّ، والتَّراجعُ عَن مَبدأِ حاكميَّةِ الشَّريعةِ!

في نيسان ٢٠٠٧م أصدرَ الجَيشُ الإسلاميُّ بيانًا مُطوَّلًا يَذكُرُ فيه تَجاوزاتِ القاعدَةِ على مَشروعِ الجِهادِ، وقد خُتِمَ البيانُ بِتَوجيهِ عدَّةِ نِداءاتٍ مِنها:

(إلى قادةِ تَنظيمِ القاعدَةِ، وعلى رأسِهِمُ الشَّيخُ المجاهدُ أسامةُ بنُ لادنَ حَفِظه اللهُ تعالى، الَّذي اشتَهَرَ عنه التَّحرُّزُ الشَّديدُ مِن دماءِ المسلمينَ وأعراضِهِم، واشتَهَرَ بزُهدِه ووَرَعِه وخَوفِه

مِنَ الحِسابِ يومَ الدِّينِ: أنْ يَستبرِئَ لِدينِه وعِرضِه، وأنْ يَتحمَّلَ مَسؤوليَّتَه عن تَنظيمِ القاعدَةِ الشَّرعيَّةِ والتَّنظيميَّةِ، وأنْ يَستقصيَ الحقائقَ ويَتثبَّتَ لِيكونَ على بَيِّنةٍ مِن أمرِه؛ فإنَّه ومَن مَعه مِن إخوانِه قادةِ القاعدةِ مَسؤولونَ يومَ القيامَةِ عَمَّا يَحدُث مِن قِبَلِ أتباعِهِم، وَلا يَكفي البَراءةُ مِنَ الأفعالِ، بل لا بُدَّ مِن تَصحيحِ المَسارِ)[1].

لم يَجِدْ هذا النِّداءُ أُذُنًا صاغيةً، بل كانَ قادةُ القاعدَةِ يَدْعَمونَ جَماعتَهم، ويُشكِّكون في خُصومِها..

يَقولُ مُصطفى أبو الْيَزيدِ (أحدُ قادةِ القاعدَةِ المَقتولينَ) عَن دولَةِ القاعدَةِ في العِراقِ:

(نحن أَيَّدْناها وَما زِلنا نُؤيِّدُها ونَرَى استِمرارَها كمَبادئَ وكأُصولٍ، ولكن كاسْمٍ مِنَ المُمكنِ أن يَتغيَّرَ الاسمُ... وَما يَقولونَ عَليها والانتِقاداتُ الَّتي تَأتي على دَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ.. الكثيرُ مِن هؤلاءِ هُم خُصومٌ، هم لَيسوا صادِقينَ... وقد يَكونُ هُناك بَعضُ الأخطاءِ في مَسيرةِ الجِهادِ، وَهذا شيءٌ عاديٌّ، حتَّى في وَقتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعضُ الصَّحابةِ قَد أخطَؤوا، مِنهُم مثلًا: خالدُ بنُ الوَليدِ رَضِيَ اللهُ عنه، وأُسامةُ بنُ زيدٍ، فتَحصُلُ هذه الأَخطاءُ، ولكن لَيس هذا هوَ الأصلَ،

(١) صدر البيان بعنوان (رد الجيش الجيش الإسلامي على خطابات الأخ أبي عمر البغدادي) بتاريخ (٥ نيسان ٢٠٠٧م).

وليسَ هذا هوَ المَنهجَ، ودَولةُ العِراقِ الإسلاميَّةِ نَحسَبُها على خيرٍ، ونَحسبُها على مَنهجٍ وعَقيدةٍ سَليمةٍ وصَحيحةٍ بإذنِ اللهِ... ونحنُ نَرَى بما أنَّه قد قامتْ دولةُ العِراقِ الإسلاميَّةُ ودَخل فيها كَثيرٌ منَ الجَماعاتِ الجِهاديَّةِ هناك، فهيَ الأَولَى أن يَدخُلَ فيها بَقيَّةُ الجَماعاتِ المَوجودةِ)[1].

(**مُؤسَّسةُ السَّحابِ**: البعضُ يَزعُمونَ أنَّ دولةَ العِراقِ الإسلاميَّةَ هيَ الَّتي أثارَتِ القِتالَ بَينَها وبينَ بعضِ الفِئاتِ، ويَتَّهِمونَها بأنَّها قدْ قَتلتِ الأَبرياءَ وسَفكتِ الدِّماءَ.

الظَّواهريُّ: هذه تُهمةٌ تَحتاجُ إلى دَليلٍ، كَما أنَّ الدَّولةَ أعلَنَتِ استِعدادَها لرَدِّ كلِّ مَظلمةٍ...

أنا لا أملِكُ أنْ أُبرِّئَ أو أدينَ أيَّ طَرَفٍ في قَضيَّةٍ لم أسمعْ طَرَفَيْها، ولكنِّي أُبرِّئُ الدَّولةَ مِن أن يَكونَ مَنهجُها يَستبيحُ دِماءَ الأبْرياءِ ويَعتدي على الحُرُماتِ، وذلك لِما عَلمتُه عَن أهمِّ قياداتِها، ولِما أعلَمُه عَن مَنهجِها...

وهلِ امتَنعتِ الدَّولةُ عَنِ التَّحاكُمِ للشرعِ؟! بل والأخطرُ والأهمُّ مِن كلِّ ذلكَ: هل تَتساوَى هذه الحَوادثُ مَع ما عانَته الدَّولةُ مِن وُقوعِ بَعضِ الجِهاتِ في عمالةٍ واضحةٍ وقتالٍ مَع الأمريكانِ ضدَّ المُسلمينَ المُجاهدينَ؟!

(١) حوار مع الصحفي أحمد زيدان / فضائية الجزيرة، برنامج لقاء اليوم، حلقة بتاريخ (٢١/ ٦/ ٢٠٠٩م).

مُؤسَّسةُ السَّحابِ: هل تَقصِدونَ بذلكَ ثوَّارَ الأنبارِ؟

الظَّواهريُّ: ثوَّارُ الأنبارِ هذه قضيَّةٌ مَفضوحةٌ... ولكن أقصِدُ ما اعترَفَ به العَديدونَ مِن مُشاركةِ مَجموعاتٍ وفَصائلَ في القتالِ معَ الأمريكانِ ضدَّ الفَصائلِ الإسلاميَّةِ)[1].

ويَستمِرُّ الظَّواهريُّ في الثَّناءِ على جَماعةِ القاعدَةِ، مُعرِضًا عن شَكوى الفَصائلِ العِراقيَّةِ، فيَقولُ: (دولةُ العِراقِ الإسلاميَّةُ حَفِظَها اللهُ، إمارةٌ شرعيَّةٌ تَقومُ على مَنهجٍ صَحيحٍ، وتَأسَّستْ بالشُّورى، وحازَتْ على بَيعةِ أغلَبِ المُجاهدينَ والقبائِلِ في العِراقِ...

دَولةُ العِراقِ الإسلاميَّةُ أنعَمَ اللهُ عليها بالسَّبقِ في مَجالاتٍ عَديدةٍ، ورايَاتُها مِن أنْقَى الرَّاياتِ، وَلم تَتلوَّثْ بِما تَلوَّث به غَيرُها، وهيَ القوَّةُ الأساسيَّةُ في العراقِ باعترافِ الجَميعِ بِما فيهِم الأمريكانُ؛ ولذلكَ فإنَّ دَعمَها أمانةٌ في عُنقِ الأُمَّةِ)[2].

وتَحدَّث الظَّواهريُّ في كَلمةٍ أُخرى عن شَعبيَّةِ دَولةِ القاعدَةِ في العِراقِ قائلًا: (اليومَ تُقامُ دَولةُ العِراقِ الإسلاميَّةِ داخلَ العِراقِ، وَيحتفِلُ المُجاهدونَ بِها في شَوارعِ العِراقِ، ويَتظاهرُ النَّاسُ لِتَأييدِها في مُدنِ وقُرى العراقِ، ويُعلَنُ تأييدُها والبيعَةُ لَها

(١) الحوار الرابع لمؤسسة السحاب الإعلامية (التابعة للقاعدة) مع الظواهري/ نص الحوار كاملًا منشور في مجلة «منبر المسلم» العدد (٤) محرم ١٤٢٩هـ.

(٢) المصدر السابق.

في مساجدِ بَغدادَ، ومع ذلكَ لا يَعترِفونَ بِها؛ لأنَّها كما يَزعُمون ناقصةُ الأهليَّةِ)[1].

وَقَدْ وَجَّهَ أسَامَة بْن لادِن نِدَاءً إلى الجَمَاعاتِ الجِهَادِيَّةِ في العِراقِ أواخِرَ كانُون الأوَّلِ ٢٠٠٧ أثْنى على مَنْ انضَمَ لِدَولةِ العِراقِ الإسلامية ودافعَ عنها، ودعا الفصائلَ العراقية للاجتماع مُشيداً بمنهجِ الدولةِ وأميرها البغدادي[2].

هذه الرُّدودُ الَّتي ظَهَرت مِنها حِزبيَّةُ القاعدةِ وعدمُ مُبالاتِها بالمَصلحةِ الجِهاديَّةِ، تَركتْ أثرًا سلبيًّا عندَ الفَصائلِ العِراقيَّة، كما اتَّضحَ ذلكَ مِن بيانٍ للجَيشِ الإسلاميِّ جاءَ فيه:

(لَقد طالَعتْنا الفَضائيَّاتُ قبلَ أيَّامٍ بنَبأٍ عجِبَ منه العامِلونَ في العِراقِ: (الدُّكتورُ الظَّواهريُّ يَعرِضُ على أوباما قَبولَ الهُدنةِ الَّتي عَرضَها ابنُ لادنَ على أمريكا مِن قَبلُ في عهدِ بوش)! في الوقتِ الَّذي يَعتبِرُ أتباعُهُم في العراقِ أنَّ مُجرَّدَ التَّفكيرِ في مُفاوَضاتٍ والجُلوسِ على الطَّاولةِ المُستطيلَةِ مع أمريكا: كُفرٌ، ورِدَّةٌ، وإماتةٌ للمَشروعِ الجِهاديِّ! ولا نَدري أيَّ حَياةٍ بَقِيَت في جِهادٍ لم يَسلمْ منه أهلُه أنفُسُهم، فلَقد قُتِلَ أتباعُ الظَّواهريِّ في العِراقِ (غَدرًا) مِن قادةِ الجِهادِ ما عَجَزتْ أكبرُ قوَّةٍ وإمبراطوريَّةٍ في هذا

(١) كلمة للظواهري بعنوان (نصيحة مشفق) جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢) من خطابه المعنون (السبيل لإحباط المؤامرات)، مجلة «منبر المسلم» العدد (٤)، شهر محرم ١٤٢٩هـ.

العَصرِ (أمريكا) أن تَنالَه مِنهُم، وآخَرونَ لا زالوا يَتربَّصون بِهم لِقَتلِهم، لا لِشيءٍ إلَّا لجِهادِهم أعداءَ اللهِ!!!

ربَّما لَبَّسَ الشَّيطانُ على هؤلاءِ القومِ فاعتَبروا أنفُسَهم الوُلاةَ الشَّرعيِّينَ لأُمَّةِ الإسلام! وبهذا فلَهُم وَحدَهم أن يُهادِنوا العدُوَّ ويُفاوِضوه، فَقضايا الأُمَّة العامَّةِ والضَّروريَّةِ لا يَتكلَّمُ بِها إلَّا هُم!

فمَن الَّذي أعطاكُم هَذه المَنزلةَ والمَرتبةَ؟!

ولَقد أحدَثْتُم بِدعاياتِكُم شِقاقًا وفُرقةً بينَ الفَصائلِ المُجاهدةِ في وقتٍ اشرَأبَّتْ أعناقُ المُسلمينَ شَوقًا وتَشوُّفًا وفَرحًا لِهَولِ ما حَصلَ لأمريكا على أيْدي المُجاهدينَ، وفي حالٍ: الأمَّةُ فيه مُفكَّكةٌ تَبحثُ عمَّن يَلُمُّ شَعثَها وشَتاتَها، وكانَ أمَلُها -بعدَ اللهِ تعالى- بالمُجاهدينَ، فآلتِ الأَوضاعُ باستِعجالِكم في الأحكامِ، واتِّخاذِ القَراراتِ الفَرديَّةِ، وقِتالِكم لِمَن هُم مَعكُم في خَندقِ مُواجهةِ الأعداءِ؛ إلى حالٍ وأوضاعٍ لا تَسُرُّ صديقًا ولا تَغِيظُ عدوًّا.

كان الشَّيخُ ابنُ لادنَ قد عَرضَ الهُدنةَ عَلى أمريكا في أوائِلِ ٢٠٠٦م وكرَّرها، ولَمَّا سُئلَ المَسئولُ العَسكريُّ للقاعِدةِ في أفغانِستانَ: ماذا تَقولونَ في مَسألةِ التَّفاوُضِ مَع أمريكا؟ قالَ: ولِمَ لا؟!

ولَقد شَغَّبَ المشَغِّبون على المَجلسِ السِّياسيِّ للمُقاومةِ

العِراقيَّةِ حينَما أعلنَ قيامَه بِمُفاوضاتٍ رَسميَّةٍ لِلمَرَّةِ الأُولى معَ العدوِّ، ونَعتَ ذلكَ مَن يَنسُبُ نَفسَه لِلقاعدَةِ أو مُناصرًا لها بأنَّ هذا انحِرافٌ في المَنهجِ، ورِدَّةٌ، وتَركٌ لِلجِهادِ!!

فإذا كان التَّفاوضُ مِن دونِ أيِّ تَنازُلٍ هذا حُكمُه عِندَكم، فَماذا تُسمُّون عَرضَ الهُدنةِ مِرارًا وتَكرارًا على الأعداءِ؟!! أفَلا تَعقلونَ؟!

ومَعلومٌ أنَّ التَّفاوضَ الَّذي قامَ به المَجلسُ السِّياسيُّ كان بِطَلبٍ منَ العدوِّ (الأمريكانِ) أنفُسِهم، ولَم تَكنْ مُبادرةً مِنَ المَجلسِ، وقدْ قُلتُم ما قُلتُم، فَما هوَ حُكمُ مَن يَطلبُ مِن العدوِّ ما طَلَبَتْه القاعدَةُ والعدوُّ لا يَلتفِتُ لِذلكَ؟! أفَلا تَذكَّرونَ؟!

وقد طَلَبَ المُحتلُّ مِنَ المَجلسِ السِّياسيِّ هُدنةً لِمُدَّةٍ مَحدودةٍ لا تَتجاوزُ الشَّهرينِ، ورَفضَ المَجلسُ ذلكَ إلَّا بعدَ الوُصولِ إلى صيغةٍ نِهائيَّةٍ لِلمُفاوضاتِ، وَمع ذلكَ قُلتُم ما قُلتُم، فَما هوَ حُكمُ مَن يَطلُب هُدنةً ويُكرِّرُ ذلك مِرارًا؟! ما حُكمُه عِندَكم؟!

ومِنَ العَجيبِ في زَمنِ الغَرائبِ والعَجائبِ أنْ يَصِفَ بَعضُ النَّاسِ تَفاوضَ المَجلسِ السِّياسيِّ معَ العدوِّ بأنَّه جَريمةٌ شَرعيَّةٌ، هكذا بِلَفظ (جَريمة شَرعيَّة)، في الوَقتِ الَّذي لم يَتكلَّمْ نفسُ الطَّرَفِ المَذكورِ بِكلمةِ نقدٍ -بالاسْمِ- لِمَن عَرَضَ الهُدنةَ على المُحتلِّ، ولم يُجرِّمْ مَن عرَضَها وتَمنَّاها وكرَّرَها!

ولكلِّ مُسلمٍ ولكلِّ عاقلٍ مُتابعٍ للشَّأنِ العِراقيِّ أن يَسألَ: ماذا تَقولُ القاعدَةُ وأنصارُها لَو كانَ الَّذي عَرضَ الهُدنةَ على المُحتلِّ هوَ أميرُ الجيشِ الإسلاميِّ أو عَرضَها المجلسُ السِّياسيُّ؟ هل ستُرعِدُ أنوفُهُم ويُطلِقونَ لأنفُسِهم العِنانَ في التَّكفيرِ والتَّضليلِ والتَّسقيطِ والتَّجريم، ويُسمُّونه مُوالاةً للكُفَّارِ وتَركًا للجِهادِ وسَيرًا على خُطَا الشَّيطانِ؟ أم أنَّهُم سيَعتبِرونَ ذلكَ قوَّةً وثَباتًا على المَنهجِ وصفاءً في العَقيدةِ وانتِصارًا جَديدًا وحِنكةً في القيادةِ؟!)[1].

◈ انقلابٌ على إخوةِ المَنهجِ!

رغْمَ وفاءِ القيادةِ العامَّةِ للقاعدَةِ وانحيازِها إلى جانبِ أتباعِها في العِراقِ، وإعراضِها عنِ المَصلحةِ الجِهاديَّةِ وتَجاهُلِها لِنداءِ الفَصائلِ العِراقيَّةِ خلالَ عامَيْ (٢٠٠٧- ٢٠٠٨م)؛ إلَّا أنَّ داعشَ انقلَبَتْ عليها وتَجاوزَتْها حينَما دَخلتْ إلى الشَّامِ، وأرادتْ أن تُدخِلَ جَبهةَ النُّصرةِ تَحتَ رايتِها، وتَجاوزتِ الظَّواهريَّ وكأنَّه غيرُ موجودٍ.

بل إنَّ جَبهةَ النُّصرةِ -الَّتي هيَ في الأصلِ جزءٌ مِن تَنظيمِ داعشَ حينَما كان نَشاطُه مُقتصِرًا على العِراقِ- ذاقَت مِن نفسِ الكأسِ الَّذي تَجرَّعته الفَصائلُ العِراقيَّةُ حينَما كانتْ تَشكو منَ القاعدَةِ.

(١) بيان بعنوان (ماذا لو فَعَلها الجيش الإسلامي؟) صادر بتاريخ (١٢ آب ٢٠٠٩م).

والظَّواهريُّ الَّذي كالَ المَديحَ والثَّناءَ لِدولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ خِلالَ الأعوامِ السَّابقةِ، أصبَحَ مَنبوذًا مُتَّهمًا مِن قِبَلِ هذه الدَّولةِ عامَ ٢٠١٤م بعدَ أن تَوسَّعت نحوَ سُوريا.

وهناكَ جماعةٌ أُخرى مُتشدِّدةٌ لم يُسلَّط عليها الضَّوءُ كَثيرًا: وهيَ جماعةُ أنصارِ الإسلامِ الكُرديَّةُ، وهذه أيضًا شَرِبَت مِن نفسِ الكأسِ الَّذي شَرِبت مِنه جَبهةُ النُّصرةِ والظَّواهريُّ.

وقَبلَ أن نُبيِّنَ ما وَقعَ لِهذه الجَماعةِ الكُرديَّةِ، نَعرِضُ شيئًا مِن أفكارِها:

نَشرتِ الجَماعةُ وَرقاتٍ بعُنوان: (تَأصِيل مُوجَز حولَ المَرجعيَّةِ السُّنِّيَّةِ في العِراقِ) أشارتْ في مُقدِّماتِها إلى أسبابِ فَشلِ تَكوينِ المَرجعيَّةِ السُّنِّيَّةِ في مَمالكِ الإسلامِ الماضيَةِ، فذَكرتْ مِنها :

١- غيابُ مادَّةِ الإمامةِ والسِّياسةِ الشَّرعيَّةِ وفقهِ الجَماعةِ والحَربِ والتَّمكينِ والحاكميَّةِ عن مَعاهدِ العلمِ وسجلَّاتِ الدَّرسِ طِيلةَ القَرنِ الماضي، وغَلبةُ التَّقليدِ وعِلمِ الكلامِ والمَعقولِ الجَدليِّ على حَلقاتِ العِلمِ الشَّرعيِّ، وغيابُ مادَّةِ الوَحيَيْنِ عنِ الدَّراسةِ، وابتِعادُ المَدارسِ الفِقهيَّةِ تَمامًا عن أصولِ مَذاهبِ الأئمَّةِ المُتبوعينَ، وانعدامُ المَدارسِ والمَصادرِ والمَراجعِ وطَبقاتِ أهلِ العلمِ والاندِفاعِ الجِهاديِّ أو الانطِلاقِ التَّغييريِّ أوِ الطُّموحِ للمكافَحةِ والصِّدامِ والمشاركةِ في صِناعةِ

تيَّارٍ جِهاديٍّ نحوَ الحُكمِ والسُّلطةِ، وانعِزالُ مَدارسِ الفقهِ في بِناياتِ القُبورِ والأضرحَةِ، وتَوجُّهُ الطَّلبةِ نحوَ مِهنةِ الخَطابةِ ووَظيفةِ الأوقافِ وحَسبُ.

٢- استِحواذُ السُّلطانِ على السَّمعِ والطَّاعةِ مِنَ العامَّةِ رَغمًا عن أهلِ العِلمِ، وإلزامُ أهلِ العِلمِ بالتَّقنينِ لِذلك.

٣- غيابُ التَّمويلِ الذَّاتيِّ للعُلماءِ، وإلزامُهم بالارتباطِ المُذَلِّ بِديوانِ السُّلطةِ، واغتِصابُ الجُمهوريَّاتِ المُتعاقبَةِ لِأموالِ الأوقافِ)[1].

هذه الرُّؤيةُ الرَّاديكاليَّةُ لِمواقفِ العُلماءِ في القُرونِ السَّابقةِ يُؤكِّدُ حَجمَ الغُلوِّ الَّذي لا يَقتصِرُ على الانحِرافِ العمليِّ، وإنَّما يَتعدَّاه إلى مُحاكمةٍ وإدانةٍ لأجيالٍ سابقةٍ وَفقَ مَفاهيمَ مُحدَثَةٍ.

في عام ٢٠١١م اتَّخذت هَذه الجماعةُ لِنَفسها رايةً ولواءً وخاتَمًا وصيغةً للبَيعةِ، وأصدَرتْ بَيانًا تُوضِّحُ فيها دَلالاتِ ومَعانِيَ هذه الرُّموزِ، وقد حَملَ خاتَمُ الأميرِ شِعار (البيعةُ للهِ والطَّاعةُ للحقِّ) مُستنِدينَ إلى أنَّها صيغةٌ لِبَيعةِ المُسلمينَ لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ.

(١) بيان بعنوان (تأصيل موجز حول المرجعية السنية في العراق) صادر برقم (٣٨٦) بتاريخ (١٩ آذار ٢٠١٢م).

إنَّ هذه الجَماعةَ تَرى أنَّها أوَّلُ رايةٍ جهاديَّةٍ للتَّمكينِ والإمارةِ في العِراقِ، وتَحمِلُ مَفاهيمَ مُتطرِّفةً جدًّا، وتَزعمُ أنَّ السَّلفيَّةَ هيَ السَّلفيَّةُ الجِهاديَّةُ، وعباراتُ بَياناتِهم تَشهدُ على شِدَّةِ تَطرُّفِهم.

في أحدِ البياناتِ يَقولُ أميرُ الجَماعةِ: (إنَّ وضعَ الجِهادِ اليومَ هوَ الدِّفاعُ الوِقائيُّ، إلَّا أنَّه يَجبُ شرعًا الاستِعدادُ لِمَرحلةِ الهُجومِ الوِقائيِّ، وإنَّ الجِهادَ العالَمِيَّ رَغمَ تَباعُدِ راياتِه جُغرافيًّا إلَّا أنَّه تَصدَّى لِقتالِ العدوِّ بِصفٍّ واحدٍ على جَبْهَتَينِ: جَبهةِ العدوِّ الخارجيِّ والَّتي تُمثِّل دُوَلَ وجيوشَ الصَّهيَوْصَلِيبيَّة، والجَبهةِ الدَّاخليَّةِ المُتمثِّلةِ بالطَّاغوتيَّةِ الحاكمَةِ ومَرجعيَّاتِها المُساندةِ).

(إنَّ حَربَنا على أمريكا تَنطلِقُ مِن تاريخِ الصِّراعِ بينَ الإسلامِ والصَّليبيَّةِ، وإنَّ الحقيقةَ الَّتي لا تَقبَلُ التَّبديلَ أنَّ الصِّراعَ بينَ الجِهادِ العالَمِيِّ والصَّهيَوْصَليبيَّةِ هوَ الخِلافةُ، وتَنازُعُ مِلكيَّةِ حقِّ تَقريرِ مَصيرِ العالَمِ)[1].

وكَعادةِ داعشَ في خِطابِ الاستِعلاءِ ومُصادرةِ آراءِ الآخَرينَ والاستبْدادِ بالأمورِ، وَجَّه أميرُ جماعةِ أنصارِ الإسلامِ رسالةً إلى أمراءِ الجِهادِ، قائلًا: (إنَّ التَّشكيلاتِ الجِهاديَّةَ الَّتي عاصَرت وساهَمَت في الرَّبيعِ العربيِّ تَحتاجُ إلى التَّخلُّصِ مِنَ الوُصوليَّةِ،

(١) رسالة أمير جماعة أنصار الإسلام؛ الشَّيخ أبي هاشم محمد بن عبد الرحمن آل ابراهيم إلى الأمة الإسلامية ومجاهدي الجماعة، صادر برقم (٣٨٤) بتاريخ (١٥ كانون الأول ٢٠١١م).

والاستِقلالِ عنِ الوِصائيَّةِ، والاستِعدادِ لِصدِّ التَّآمُرِ والخيانَةِ، وتَجنُّبِ القتالِ بالوَكالةِ، ومُكافحةِ المَرجعيَّاتِ الدَّاعيةِ لِمُساندةِ تَطبيقِ الدِّيمقراطيَّةِ في ديارِ الإسلامِ، وَكذلكَ مُواجهةُ ظاهرةِ تَبدُّلِ الهُويَّةِ لِأمَّةِ الإسلامِ وَحالاتِ الاستِلابِ المُتوالِي لَها مِنَ القَوميَّةِ والقُطريَّةِ الجاهليَّةِ، ولا بُدَّ لَها مِن المحاولاتِ الجادَّةِ للتَّزايُلِ عنِ الغَوغاءِ، والسَّعيِ للانحيازِ إلى جُغرافيا مُستقلَّةٍ، ووُجوبِ مَسكِ أرضِ الانحيازِ والدِّفاعِ عنها.

إنَّ قُصورَ الإدراكِ السَّياسيِّ ظاهرٌ على خِطابِ وُعَّاظِ التَّغييرِ دومًا، فَلا يُعوَّلُ على مُقرَّراتِهم السِّياسيَّةِ في الثَّوراتِ، ولا بُدَّ مِن تَقديمِ قَراراتِ أئمَّةِ الجِهادِ عَلى مُقرَّراتِهم)[1].

هذه الجَماعةُ انحازتْ إلى جانِبِ القاعدَةِ خِلالَ عامَيْ (٢٠٠٧ و ٢٠٠٨م) عِندَما ارتَفعتْ شَكوَى الفَصائلِ السُّنِّيَّةِ منَ القاعدَةِ، بل وَزادتْ على ذلكَ بأنْ أصدرَتْ كُتيِّبًا تَشرحُ فيه تَفاصيلَ المُؤامرةِ المَزعومةِ على الجِهادِ في العِراقِ، وقد حَملَ الكُتيِّبُ عُنوان (سِفْر الحَقيقةِ)[2].

وفي عام ٢٠٠٧م نَشَرت إحدى الفَصائلِ المُنشقَّةِ[3] عَن

(١) المصدر السابق.

(٢) صدر في جزأين؛ الأول بتاريخ (١٤ تموز ٢٠٠٨م)، والثاني بتاريخ (١١ أيار ٢٠٠٩م).

(٣) وهي جماعة أنصار السنة – الهيئة الشرعية.

جَماعةِ أنصارِ الإسلامِ، كِتابًا أوضَحَت فيه أنَّ المُتطرِّفينَ الأكرادَ في زَمنِ الزَّرقاويِّ كانوا يُطالبونَ أسامةَ بنَ لادِنَ بِحلِّ تنظيمِ القاعدةِ في العِراقِ: (ألم تَكونوا تَقولون -والخِطابُ لِقيادةِ جَماعةِ أنصارِ الإسلامِ- إنَّ أعظمَ عَملٍ يَقومُ به الشَّيخُ ابنُ لادنَ اليومَ هوَ الإعلانُ عن حلِّ تَنظيمِ القاعدَةِ في العراقِ؛ لأنَّ هذا التَّنظيمَ قد أصبَحَ سُبَّةً عليهِ، وصارَ مِظلَّةً لكلِّ صاحبِ مَأربٍ باطلٍ لكي يُحقِّقَ مأرَبَه مِن خِلالِ هذا التَّنظيمِ المُخترَقِ الَّذي لا دَواءَ له إلَّا الحلُّ، وبَعثْتُم الرَّسائلَ إلى عُلماءِ الجَزيرةِ للمُساهمةِ في هذا المَشروعِ، وأرسَلْتُمُ الرُّسلَ إلى أفغانِستانَ -ومِنهُم أبو الدَّرداءِ (رَحِمَه اللهُ)[1]- لِيشرحَ لابنِ لادنَ والظَّواهريِّ فسادَ القاعدَةِ العريضِ في العِراقِ، ولَمَّا رجَعَ أبو الدَّرداءِ قالَ: إنَّ وَفدًا سيُرسلُه الظَّواهريُّ إلى العِراقِ لِيتأكَّدَ مِن صحَّةِ هذه الأخبارِ. ثمَّ قُلتُم لَنا: إنَّ أبا مُصعبٍ رَحمَه اللهُ عوَّق وُصولَ الوَفدِ كي لا تَنكشِفَ الحَقائقُ. عِلمًا بأنَّ عصرَ أبي مُصعبٍ يُعتبَرُ ذَهبيًّا إذا قِيسَ بِما جَرَى مِن بَعدِه)[2].

أي أنَّهم في الحَقيقةِ كانوا يَتذمَّرونَ مِنَ الزَّرقاويِّ وسياسَتِه، لكنْ عِندَما اصطَدَمت الفَصائلُ العراقيَّةُ بالقاعدَةِ عام ٢٠٠٧م

(١) أحدُ القيادات في جماعة أنصار الإسلام، واسمه أحمد علي ولي، ويُكنى بأبي سعد، وأبي زياد المهاجر، وأبي الدرداء المهاجر، كما ورد في تاريخ جماعة أنصار الإسلام، ص ٣٧.
(٢) الرد على سفر الحقيقة، المسمى (سفر حقيقة أم سراب وهم) ص ١٣.

انحازوا إلى جانِبِها مُتَّهمينَ خُصومَها بِتَدبيرِ مُؤامرةٍ على الجِهادِ.

عاقبةُ ذلك ظَهَرَتْ عليهِم عام ٢٠١٣م، حينَما أصدرَتْ جَماعةُ أنصارِ الإسلامِ مَجموعةً مِن البَياناتِ تُوضِّحُ فيها تَجاوزَ تَنظيمِ دَولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ على عَناصِرِها في مُحافظةِ المَوْصِلِ، كما وَجَّهوا رسالةً إلى الظَّواهريِّ ظانِّينَ أنَّه يَملِكُ سُلطةَ لَجْمِ أتباعِه في العِراقِ ووَقفِ اعتِداءاتِهم، ولم يَكنِ الخِلافُ قدِ اندَلعَ بينَ داعشَ والظَّواهريِّ بَعدُ[1].

◈ المَقدِسيُّ وجماعةُ جُهَيْمانَ

ما قامتْ به جَماعةُ جُهَيْمانَ في الحَرَمِ المكِّيِّ الشَّريفِ في لا يُمكِنُ مُشابهتُه بأيِّ لونٍ مِن ألوانِ التَّطرُّفِ للجَماعاتِ الَّتي ظَهرَت بَعدَها، وذلكَ لِفظاعةِ ما قاموا به، وجُرأتِهِمُ الَّتي ساقَتْهم لِيَتورَّطوا في أسوأِ الأعمالِ وأبشَعِها.

ومعَ أنَّهم لم يُجاهِروا بكُفرِ الدَّولةِ السُّعوديَّةِ، إلَّا أنَّ مَسلكَهم في التَّعاملِ مَع كلِّ ما يُحيطُ بِهم مِمَّا لا يُوافقُ أفهامَهُم وعُقولَهم كان مَسلكَ أهلِ الغُلوِّ والتَّشدُّدِ، سواءٌ في المُنكراتِ المَوجودَةِ في المُجتمعِ، أو مُخالفاتِ الحاكمِ، أو مَواقفِ العُلماءِ مِن ذلك كلِّه.

كان جُهيمانُ يَرَى أنَّ الحُكمَ السُّعوديَّ فاقدُ الأهليَّةِ الدِّينيَّةِ، فلا تَجِبُ له المُبايعةُ ولا الطَّاعةُ، ولذلكَ كان يَتصرَّف وأتباعُه

(١) صُوَر هذه البيانات موجودة في مُلحق كتاب الجهاد في سوريا، ص (٢٤٩-٢٥٩).

وَفقَ هذا التَّصوُّرِ دونَ أنْ يُضطَرُّوا إلى إطلاقِ أحكامِ التَّكفيرِ على الحاكِمِ.

كانوا غُلاةً يَسعَوْن لتَطبيقِ تَصوُّراتِهم بطَريقةٍ عمليَّةٍ دونَ الحاجةِ إلى الخَوضِ في مَسائلَ نَظريَّةٍ هُم في غِنًى عَنها؛ لأنَّهم يَعتقِدونَ أنَّ الأدلَّةَ الشَّرعيَّةَ على صِحَّةِ ما يَقومونَ به مُتوافرَةٌ، ولذلك يَقولُ جُهيمانُ: (وأمَّا مسألةُ التَّكفيرِ فهيَ مَسألةٌ خَطيرةٌ، وأكثرُ مَن يَخوضُ فيها ممَّن لا حَظَّ له مِنَ العِلمِ والتَّجرُّدِ إلَّا القليلَ، فهوَ يَجعلُ الحُكَّامَ الَّذين يُظهِرون الإسلامَ كفِرعونَ والدَّجَّالِ، والآخرونَ على النَّقيضِ مِن ذلك تَمامًا فهُم يَجعلون هَؤلاءِ الحكَّامَ كأبي بَكرٍ وعُمرَ رضيَ اللهُ عنهُما في وُجوبِ بَيعتِهم وطاعَتِهم، وقدْ تَبيَّن لكَ أنَّه لا يَلزمُ مِن بُطلانِ البَيعةِ وعدمِ وُجوبِ الطَّاعةِ تَكفيرُهم وهُم يُظهِرونَ الإسلامَ)[1].

يتَّفقُ الغُلاةُ المُعاصرونَ معَ جُهيمانَ العُتيبيِّ على عَدمِ شَرعيَّةِ الحُكمِ السُّعوديِّ، ومِنَ المَنطقيِّ أن يَتَّفِقوا مَعه في بعضِ الكِتاباتِ والآراءِ، فنَجدُ أنَّ مِن رَسائلِه: (رَفْع الالتِباسِ عنْ مِلَّة مَن جَعلَه اللهُ إمامًا للنَّاسِ)، ولعلَّ هذه الرِّسالةَ أَلْهَمَتْ أبا مُحمَّد المَقدسيَّ لتأليفِ كِتابِه الأشهَرِ: (مِلَّة إبراهيمَ ودَعوَة الأنبياءِ والمُرسلينَ)[2]، لكنَّ هؤلاء المعاصِرينَ يَتفوَّقونَ عَليه في تَكفيرِ

(١) رسالة الإمارة والبيعة والطاعة، ص ٣٤.

(٢) انظر ثَناءَ المقدسي على بعض كتابات جهيمان، في كتاب ملة إبراهيم (ص ١٦).

النِّظامِ السُّعوديِّ والتَّأصيلِ لِذلكَ بالأدلَّةِ.

جعل التَّوَافُق بَيْنَ جُهَيْمَان والغُلاةِ المُعَاصِرين، مِنْ حَادِثَةِ الحَرَمِ المَكِّي جريمة مِنْ جَرَائِم النِّظَام السُّعُودي ولَيْسَ جُهَيْمَان وَمَجْمُوعَته؛ وذَلِكَ لِأَنَّ مِعْيَار الحُكْمِ والتَّقْيِّيم -في عُرْفِ الغُلَاة- مُرْتَهَنٌ بِمَدى مُوَافَقَتِهم أو مُخَالَفَتِهم.

واللُّجوءُ للتَّبريرِ والاعتِذارِ، أو غضُّ الطَّرْفِ والسُّكوتُ عَن مُخالفاتِ مُوافِقيهِم في المَنهجِ، سُنَّةٌ مَعروفةٌ عندَ المُتطرِّفينَ المُعاصرينَ، لكنْ في قضيَّةِ جُهيمانَ على وَجهِ الخُصوصِ كان يَسَعُهم السُّكوتُ والإعْراضُ عَن فتحِ هذا المَلفِّ لِشَناعتِه وقُبحِه، وعَدمُ التَّعرُّضِ لِجُهيمانَ وأتباعِه بِمَدحٍ أو ذمٍّ.

وسياسةُ التِماسِ الأعذارِ لإخوَةِ المَنهجِ ناتجةٌ عنِ التَّحزُّبِ للفِكرةِ المُتشدِّدةِ دونَ مُبالاةٍ بِالواقعِ، ودونَ تَحرِّي الحَقائقِ والاجتِهادِ في البَحثِ عنِ الصَّوابِ، بِغَضِّ النَّظرِ عنِ الجِهةِ الَّتي يَكونُ فيها.

مِنَ النَّاحيةِ النَّظريَّةِ فإنَّ جُهيمانَ يَعترِضُ على مَذهبِ المُعاصرينَ في تَكفيرِ الأنظمَةِ، وَفي المُقابلِ فإنَّهُم لا يُوافِقونَه على ما قامَ به في الحَرمِ المكِّيِّ. وَهذه المُفارَقةُ مَألوفةٌ في عالَمِ التَّطرُّف، أيِ: التَّبايُنُ بينَ حزبِ التَّنظيرِ وحِزبِ التَّطبيقِ ومُباشرةِ العَملِ، فالمُنظِّرونَ لا يَتقبَّلون فَوضَى المَيدانيِّينَ، لكنَّهُم في

نَفسِ الوَقتِ لا يُضَحُّون بِهم انتِصارًا للحِزبِ والرَّايةِ المُتطرِّفةِ، وَهذا ما يُوضِّحُ سببَ عَدمِ فاعليَّةِ المُراجعاتِ والتَّراجعاتِ الَّتي تَصدُرُ مِن مَشايخِ التَّطرُّفِ؛ لِكونِها مُجرَّدَ آراءٍ لأصحابِها، ولا سُلطانَ لَها على حَمَلةِ السِّلاحِ.

◈ داعشُ الجَزائرِ والموقفُ المَشبوهُ لأبي قَتادةَ الفِلَسطينيِّ:

كلُّ مَن سَمِعَ بالتَّجربةِ الدَّمويَّةِ للغُلاةِ الجَزائريِّينَ في التِّسعيناتِ من القرن الماضي يَملِكُ تَصوُّرًا عامًّا عمَّا جَرى فيها، والمَعالِمُ الرَّئِيسَةُ لِهذه التَّجربةِ لا تَختلِفُ كَثيرًا عَن تَجربةِ تَنظيمِ داعشَ الَّتي نَعيشُ فُصولَها مُنذُ سَنتينِ، ويُمكِنُ تَخليصُها فيما يلي:

* وحشيَّةٌ في السُّلوكِ، وساديَّةٌ في التَّنكيلِ بالمُخالفِ.

* شُذوذٌ في الآراءِ والفَتاوَى التَّكفيريَّةِ.

* اختِراقٌ وتَوجيهٌ مِن قِبَلِ أجهزةٍ مُخابراتيَّةٍ.

* البدءُ بتكفيرِ الحُكومةِ وجُندِها، والانتِهاءُ بتكفيرِ وقَتلِ النُّخَبِ من (المَدنيِّينَ والإسلامِيِّينَ والمُجاهِدينَ) بِتُهمةِ التَّآمرِ والانحِرافِ المَنهجيِّ.

* وُجودُ شَخصيَّاتٍ تُبرِّرُ الجَرائمَ وتُؤصِّلُها مِن زاويةٍ شرعيَّةٍ.

لكنْ ما نَوَدُّ لفتَ الأنظارِ إليه: هوَ أنَّ الاسمَ الَّذي بَرزَ في دَعمِ دواعشِ الجَزائرِ في التِّسعيناتِ (أبو قَتادةَ الفِلَسطينيُّ) يَقِفُ اليومَ

في الجَبهةِ المُناوئةِ لِدَواعشِ سُوريا.

لم تَصدُرْ مِن أبي قَتادةَ أيُّ تَراجعاتٍ أو تَوبةٍ عَن المَنهجِ الَّذي ورَّطَه في دَعمِ الغُلاةِ الدَّمويِّينَ في الجَزائرِ بِشكلٍ أو بآخَرَ، وهوَ اليومَ إذ يُخالفُ داعشَ لا يُمكِنُه الرَّدُّ عليها إلَّا بالطَّريقةِ الشَّرعيَّةِ السُّنِّيَّةِ، ولا يُمكنُه أن يُخاصِمَ داعشَ ويُحاجِجَها بمَنهجِه المُتطرِّفِ؛ لأنَّهُم يُشاركونَه فيه ويَحمِلونَ نفسَ مُفرداتِه وأفكارِه.

ولا نَودُّ الإطالةَ في توضيحِ دَورِ أبي قَتادةَ الفِلَسطينيِّ في أحداثِ الجَزائرِ، فقدْ أوضحَ أبو مُصعبٍ السُّوريُّ شيئًا منه في شَهادتِه على تلكَ الأحداثِ في كِتابٍ أفرَدَه لِهذا الغَرضِ، ويُمكنُ للقُرَّاءِ الرُّجوعُ إليه فهوَ مَنشورٌ على شَبكةِ الإنترنتِ بعُنوانِ (مُختصَر شهادَتِي عَلى الجِهادِ في الجَزائرِ).

خُلاصةُ ما ذَكرَه السُّوريُّ: أنَّ أبا قَتادةَ الفِلَسطينيَّ كان مُتطرِّفًا في تَوصيفِ الواقعِ، وإيقاعِ أحكامِ الكُفرِ والرِّدَّةِ على النَّاسِ، وتَبريرِ أعمالِ الجَماعةِ الإسلاميَّةِ المُسلَّحةِ، الفَصيلِ الأَبرزِ على السَّاحةِ الَّذي اشتَهَر بِدَمويَّتِه وغُلوِّه في التَّكفِيرِ، لا سيَّما بعدَ تَولِّي قيادَتِها: جمال زيتوني[1]، ومِن بَعدِه: طَلْحَة زوابري[2].

كان الفِلَسطينيُّ بِحَسبَ شَهادةِ أبي مُصعبٍ السُّوريِّ مُتهوِّرًا

(١) ويُدعى (أبو عبد الرحمن أمين).

(٢) يقول أبو مصعب السُّوريُّ في كتابه المذكور (ص ٥٥): إنَّ (زوابري) أصْدر (بيانًا يُكفِّر فيه الشَّعبَ الجزائريَّ برُمَّته صراحةً، ويَشتمُهم بأقذعِ ألفاظ السِّباب والفُحش والفجور).

مُجازفًا في إطلاقِ الأحكامِ وَالفَتاوَى بِخُصوصِ أزمةِ الجَزائرِ، مُغاليًا في تَأييدِ الجَماعةِ الإسلاميَّةِ المُسلَّحةِ إلى مُستوى (التَّأصيلِ الشَّرعيِّ لِطامَّاتِها المُتلاحقةِ)[1].

كما يَروِي أبو مُصعبٍ السُّوريُّ كيف تَهرَّبَ الفِلَسطينيُّ مِن إدانةِ جَرائمِ هذه الجَماعةِ الَّتي كانت في الجَزائرِ بمنزلةِ داعشَ في زَمانِنا، وفي نِهايةِ المَطافِ وبعدَ أنْ تَبيَّن للجِهاديِّينَ في خارجِ الجَزائرِ حَجمُ الانحِرافاتِ الفِكريَّةِ والسُّلوكيَّةِ الَّتي وَقعت من هذه الجَماعةُ بِقيادةِ (جَمال زيتوني) أعْلَنوا البَراءةَ منها، فما كان مِنَ الفِلَسطينيِّ إلَّا أنِ استَسلَم للواقعِ، (وكَتب بيانًا ضَمَّنه فِكرتينِ:

الأُولى بَراءتُه مِن (أمين) وعِصابتِه، وإخراجُهم مِن أهلِ السُّنَّةِ وسَبُّهم. **والفِكرةُ الثَّانيةُ** منَ العَجائبِ، حيثُ كتبَ في بَيانِه بأنَّه مع ذلكَ يَتمسَّكُ بِجميعِ مُفرَداتِ مَواقِفِه السَّابقةِ! ورَضِيَ الإخوةُ مِنه بالأُولَى)[2].

والمَقصدُ الَّذي نُؤكِّدُ عليه هُنا: أنَّ الشَّيخَ الفِلَسطينيَّ الَّذي يَقِفُ اليومَ في الجَبهةِ المُناوئةِ لداعشَ، لم يَصدُرْ منه أيَّ نَقدٍ للفِكرِ الَّذي أخرجَه داعشُ الجزائرِ في تِسعيناتِ القَرنِ الماضي، وداعشُ سُوريا في زَمانِنا، وإنَّما تَبرَّأ مِن المَجموعةِ الَّتي تَمادت في العُدوانِ وسَفكِ الدِّماءِ باسمِ الجِهادِ.

(١) مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، ص ٣١.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٤.

المَصَادِر

أيْمَن الظَّوَاهِرِي (**تَبْرِئَة أُمَّة القَلَم والسَّيْف مِن مَنْقَصَة تُهْمَة الخَوَر والضَّعْف**)، السَّحَاب للإنْتاج الإعْلامِي، ٢٠٠٨.

جَامع خِطَابَات الزَّرْقَاوي (**الأرْشِيف الجَامِع لِكَلِمَات وخِطَابَات أسَد الإسْلام الشَّيْخ أبو مُصْعَب الزَّرْقاوي رحِمَه اللهُ**)، صَدَرَ عَنْ شَبَكَة البُراقِ الإسْلامِيَّة، الطَّبْعَة الأولَى، حُزَيْران ٢٠٠٦.

جَمَاعَة أنْصَار الإسْلام

* **رِسالَة أمِير جَمَاعَة أنْصَار الإسْلام الشَّيخ أبو هاشِم مُحَمَّد ابْن عبْد الرَّحْمَن آل إبْراهيم إلى الأمَّة الإسْلامِيَّة ومُجَاهِدي الجَماعَة**، صادِرَة بِرقْم (٣٨٤) بِتَارِيخ (١٥ كانون الأوَّل ٢٠١١).

* بَيانٌ بِعُنْوان: (**تَأصِيل مُوجَز حَوْل المَرْجِعِيَّة السُّنِّيَّة في العِراقِ**) صَادِرٌ بِرَقْم (٣٨٦) بِتاريخ (١٩ آذار ٢٠١٢).

* تَارِيخ جَمَاعة أنْصَار الإسْلام (**شَوَاهِد مِن تَاريخ أوَّل رَايَة جِهَادِيَّة للتَّمْكِين والإمَارة في العِرَاق**)، الطَّبْعَة الأولى، ١٤٣١ هـ.

جَمَاعَة أنْصَار السُّنَّة- الهَيْئَة الشَّرْعِيَّة-، **سِفْر حَقِيقَة أم سَرَاب وَهْم (الرَّدُّ على سِفْر الحَقِيقَة)**، ٥ آب ٢٠٠٨.

جُهَيْمَان العِتِيبي، رَسَالة الإمَارة والبَيْعة والطَّاعَة، مَنْشُورات الجَبْهة الإعْلامِيَّة الإسْلامِيَّة العالَمِيَّة.

الجَيْش الإسْلامي في العِرَاق.

* بَيَانُ: (**مَاذا لَوْ فَعَلَها الجَيْشُ الإسْلامِي**)، ١٢ آب ٢٠٠٩.

* مَقَالٌ لِلشَّيخ مُنْقِذ جَبْر عُضْو المَكْتَبِ السِّيَاسِي في الجَيْش بِعُنْوان: (**كَلِمَة في فِتْنَة غَزَّة**)، ٢٩ آب ٢٠٠٩.

* بَيَان: (**رَدُّ الجَيْش الإسْلامِي في العِرَاق عَلى خِطَابَات الأخِّ أبِي عُمَر البَغْدَادي**)، بِتَاريخ ٥ نَيْسان ٢٠٠٧.

سَيِّد إمَام الشَّرِيف (الدُّكْتُور فَضْل) **التَّعْرِية لِكَتاب التَّبْرِئَة (رَدُّ عَلَى كِتَاب تَبْرِئَة أُمَّة القَلَم والسَّيْف لِلظَّوَاهِري)**، نُشِرت عِدَّة حَلَقاتٍ مِنْه في صَحِيفَة الشَّرْق الأوْسَط.

سَعِيد السِويدي، **الجِهَاد في سُورِيَا: حَتَّى لا تَتَكَرَّر مَأْسَاة العِرَاق مَعَ القَاعِدة**، مَرْكز الدِّين والسِّيَاسَة وَمُؤَسَّسةُ الانْتِشَار العَرَبي، الطَّبْعة الأُولى، ٢٠١٤.

عَاصِم البَرْقَاوي (أبُو مُحَمَّد المَقْدِسي)، **مِلَّةُ إبْرَاهِيم وَدَعْوَة الأنْبِيَاء والمُرْسَلِين**، مَنْشُور عَلَى مَوْقِعِه الشَّخْصِي.

عَطِيَّة اللهِ اللِّيبي.

* **لِقَاء مَرْكَز اليَقِين الإعْلامِي مَعَ الشَّيخ عَطِيَّة اللهِ حَفِظَه اللهُ**، (يُونْيو ٢٠٠٧).

* **لِقَاء مُنْتَدَيَات شَبَكَة الحِسْبَة مَعَ الشَّيْخ عَطِيَّة اللهِ (٢٠٠٦).**

عُمَر عَبْد الحَكِيم (**أبُو مُصْعَب السُّورِي**).

* **دَعْوَة المُقَاوَمَة الإسْلَامِيَّة العَالَمِيَّة**، طَبْعَة دِيسَمْبِر ٢٠٠٤.

* **مُخْتَصَر شِهَادَتِي عَلَى الجِهَاد فِي الجَزَائِر، (سِلْسِلَة قَضَايَا الظَّاهِرِينَ عَلى الحَقِّ(٦))**.

عُمَر مَحْمود (أبو قَتَادَة الفِلَسْطِيني)، **جَوْنة المُطِيِّبين في الرَّدِّ على كتَاب كَشْفِ شُبُهَات المُقَاتِلِين تَحْتَ رَايَة مِنْ أَخَلَّ بِأَصْل الدِّين**، مَنْشُور عَلَى مَوْقِع أبِي مُحَمَّد المَقْدِسي (مِنْبَر التَّوْحِيد والجِهَاد).

فَاتِح كِرِيكار

* **القَاعِدَة والأُسْتَاذِيَّة**، موقع الجَزِيرة نِتْ (٦ حزيران ٢٠٠٧).

* **الرُّؤيَة الزَّرْقَاوِيَّة وحِمْلِهَا الثَّقِيل**، مَوْقِع الجَزِيرة نِتْ (١٥ حزيران ٢٠٠٦).

المَجْمُوع لِقَادة دَوْلَة العِرَاق الإسْلَامِيَّة، نُخْبَة الإعْلام الجِهَادي، الطَّبْعَة الأولَى، أيار ٢٠١٠.

مُصَطَفى حَامد (أبو الوَلِيد المِصْري).

* **صَلِيب فِي سمَاء قَنْدَهَار**، مَنْشُور عَلَى مِوْقِعِه الشَّخْصِي (www.mustafahamed.com).

* السَّائِرُون نِيَامًا، مَنْشُورٌ على مَوْقِعِه الشَّخْصِي.

تدوينات

الصفحة	التدوينات
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

التدوينات	الصفحة
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

الصـف والإخـراج